الملقارئ

تعريب الادارة والمحيط

بقلم : البشير بن سلامة

دعت ودادية المرحلة العليا للمدرسة القومية للادارة ثلة من أعضائها وأحبائها الى المشاركة يوم الخميس 17 ماى 1979 ليلا فى مائدة مستديرة حول تعريب الادارة والمحيط . وأشرف على الحوار الذى التام بهذه المناسبة الاستاذ محمد مزالى وزير التربية القومية ومدير هذه المجلة (راجع تفصيلا عن الندوة فى باب الاصداء من هذا العدد) .

كانت البادرة موفقة اذ سمحت ببسط هذا الموضوع مرة أخرى بعد ما لقيه من ضجة منذ ما يقرب عن عشر سنوات وأسدل عليه الستار طيلة هذه الفترة اللهم الا ما قامت وتقوم به وزارة التربية القومية من تعريب مبرمج ثابت الخطى وما تتناقله أصداء مداولات مجلس الامة من حين لآخر .

وليس من سبب لقرار هذا الموضوع وثباته مع مرور الزمن الا لأنه مطلب شعبى آمن بشرعيته التونسيون منذ أن قامت الحركة الوطنية التحريرية التى اعتبرت اللغة العربية أحد مقومات الشخصية التونسية تنافح من أجل بقائها أمام زحف اللغة الفرنسية وتعمل على احلالها المحل الارفع . إذ اقتنع التونسيون آنذاك أن اللغة كما قال الكاتب الفرنسي ميشلى : « هى رمز القومية الرئيسى » واستشفوا أن الاستعمار فى إشاعته للغة الفرنسية لا يهدف إلا الى المسخ والابتلاع . ألم يقل الكردينال لافيجرى : « اذا ما كسبنا ثقة الشعوب بالاحسان وبتعليم الصبيان ، فلا بد أن يأتى يوم ينفصم فيه ما يربط بينها من عرى بكيفية تلقائية ، فلادنى هزة تسقط كالثمرة الناضجة ونجنى نحن قطوفها » وقال شيخ الاسلام احمد بيرم سنة 1931 :

« اذا علمت شخصا بلغته فقد نقلت العلم الى تلك اللغة أما اذا علمته بلغة أخرى فلم تزد على انك نقلت ذلك الشخص اليها » (1) .

لهذا فان إصلاح التعليم فى دولة الاستقلال استجاب مبدئيا لهذا المطلب الشعبى على لسان السيد الرئيس الحبيب بورقيبة عندما قال فى خطاب له بالمدرسة الصادقية فى 25 جوان 1958 : « أريد أن ألاحظ لكم أن التعليم بالمدارس الثانوية سيكون متجها الى التعريب واستعمال اللغة العربية حيث تكون لغة التدريس لجميع المواد ، الا اذا اقتضت الضرورة والظروف ، وذلك لأجل مؤقت ، استعمال اللغة الفرنسية للاستفادة من الامكانيات التى بايدينا ريثما تعد المدارس التكوينية الاطارات الضرورية للتعليم باللغة العربية فى جميع المواد » (2) .

هذا ما آمن به التونسيون المخلصون لوطنهم قبل الاستقلال وبعده وأصبح عقيدة راسخة من الواجب الجهاد من أجلها والكفاح فى سبيلها . وهذا ما درجنا عليه فى هذه المجلة منذ أن تأسست سنة 1955 . وما كتابات مديرها الاستاذ محمد مزالى ابتداء من ذلك الوقت (وقبل ذلك بسنوات فى الواقع سواء بمجلة الندوة أو بجريدة الحرية أو لواء الحرية) وما ينشر على صفحاتها من مقالات ودراسات المتحمسين لهذه القضية الا دليل على أن المسألة ليست ظرفية ولا هى مطية سياسية بل مصيرية تتعلق بوجودنا كتونسيين شخصيتنا جزء من الشخصية العربية الاسلامية واللغة العربية أحد مقوماتها .

ويجب أن نؤكد أن ما أثير حول التعريب واللغة العربية بمجلة « الفكر » خاصة وابتداء من سنة 1968 على وجه التحديد انما هو لسببين اثنين : لمرور عشر سنوات على إصلاح التعليم ببلادنا وللمشاكل التى بقيت تواجه اللغة العربية رغم تطورها الاكيد ولم يقدر المشرق العربى على حلها .

لقد تبين لنا خاصة سنة 1970 معتمدين على دراسات علمية نشرت واطلع عليها الخاص والعام أن مضاعفات جدية طرأت على النسق التعليمى عندنا فكان رد الفعل الطبيعى لكل من آمن بتونس فى شخصيتها العربية الاسلامية وحتمية ارتباط مصيرها بمقوماتها التى ناضل من أجلها التونسيون طويلا أن

(1) هذه الشواهد أخذتها من مقال للدكتور محمد السويسى بعنوان : « نظرات فى التعريب » نشر بمجلة « الفكر » ، المجلد 16 ، ص 731 .
(2) الحبيب بورقيبة ، خطب ـ الجزء السابع ، 1958 ، ص 14 .

ارتفعت الاصوات لبيان الحقيقة والكشف عن الوضع التعليمي بكل صدق وإخلاص (3) .

ومن حسن حظ هذه البلاد ان من ناضلوا من أجل ان تبقى تونس عربية مسلمة محافظة على شخصيتها وهم في موطن القيادة فهموا الواجب . فكان الاصلاح الجذري الذي تم منذ سنوات عديدة وتمثل خاصة في التعريب التدريجي .

واليوم بعد أن انطلق التعريب في التعليم على أسس ثابتة جاء دور الادارة والمحيط . وليس من شك في أن الساهرين على حظوظ هذه البلاد والمخلصين لذاتيتها عازمون على تذليل الصعاب والعقبات في هذا الباب (4) ولكن أكثر من

(3) راجع في هذا الصدد مجلة « الفكر » ـ المجلد 16 (سنة 1970 ـ 1971) تجد دراسات ومقالات عديدة عن الموضوع . وتأمل خاصة محاضرة الاستاذ محمد مزالي حول التونسة والتعريب (23 أفريل 1971) وكذلك كلمة الاستاذ البشير بن سلامة في مجلس الامة في موفى ديسمبر 1970 (أزمة التربية القومية أزمة قيم) . والمحاضرة التي كان من المزمع إلقاؤها في أسبوع التعريب ونشرت بهذا المجلد تحت عنوان : (لماذا التعريب ؟) .

(4) والواقع أن السيد الهادي نويرة الوزير الاول والامين العام للحزب قد أذن بمنشور مؤرخ في 31 جويلية 1971 تحت عدد / 6 ـ و ـ 220 بتعريب الاجراءات تدريجيا وهذا نص المنشور : « وبعد فقد لفت نظري ما يلاقيه عدد من المواطنين ممن لا يحسنون غير اللسان العربي من صعوبات أثناء اتصالهم ببعض المؤسسات العمومية وذلك من جراء عجزهم على فهم الاجراءات وعلى تحرير ما ينبغي تعميره من مطبوعات والحال أن غاية المصالح هي تيسير قضاء حاجة المواطنين واقرار علاقات طبيعية مع العموم .

لذا المرجو منكم النظر في تدارك هذا الامر وذلك بواسطة تعريب الاجراءات تدريجيا بالمقدار الذي يحقق الغرض المنشود ويأخذ في نفس الوقت سير المصالح بعين الاعتبار والسلام » .

الامضاء الوزير الاول
الهادي نويرة

ذلك فان قضية تعريب الادارة والمحيط كما قال الاستاذ محمد مزالي في هذه الندوة هي قضية كل تونسي وهو مسؤول وحده على فضها لان كل المشاكل التي أثيرت سواء الشخصية منها أو المتعلقة بتطور العربية أو بعلاقتها بالعامية أو ارتباطها بالازدواجية ولان جميع العراقيل التي ذكرت ايديولوجية كانت أو حياتية لا تمنع من تحقيق هذا المطلب الشعبي ولا تكبح جماح كل تونسي مخلص لوطنه وذاته .

وعلى كل فان هذا الوجه من القضية هو الذي أشرت اليه عند ذكر السببين الاثنين الخافين باثارة الموضوع وهو الحديث عن اللغة العربية ومشاكلها . والواقع أن المشرق العربي ، كما قال أحمد زكي في مجلة العربي (العدد 144 سنة 1970) ، لم « يعط أجمل المثل الذي يغرى بالاقتداء » في هذا الباب . ولقد درجنا على صفحات مجلة « الفكر » على إثارة المواضيع التي تتعلق بتطور العربية (5) والتي لم تلق حلا للاسف في المشرق العربي رغم ان اللغة العربية أصبحت لغة المحافل الدولية ولغة العلم مما في ذلك شك ولكنها بقيت لغة الخاصة لأسباب عديدة أهمها هي أن النخبة القادرة على حل مشاكل اللغة « نقلوا أنفسهم الى لغة الغير » على حد تعبير الشيخ أحمد بيرم .

وأسوق مثالا لذلك في مشكل لم يقدر المشرق على حله وهو أساسي لتطور الجماهير العربية ومرتبط أشد الارتباط بمستوى التفكير والوعي لفهم مشاكل العصر ألا وهو مسألة شكل كل ما يكتب في الجرائد والمجلات والكتب . والمسألة ليست شكلية ولا قضية حروف وانما هي مرتبطة كما قلت بنوع التفكير ومستواه وسرعته وهذا أيدته التجارب العلمية الحديثة (6) .

تصور أن أغلب الجماهير العربية عندما تقرأ الجريدة أو المجلة أو الكتب غير المشكولة مجبورة على اللحن أي على القراءة الخاطئة أو التقريبية . وهذا لا يمكن أن يدحضه أحد . لأن القراءة الصحيحة عند أهل العربية هي من نصيب الخواص أو النخبة . ماذا يحصل إذن ؟ إن كل من يقرأ بهذه الطريقة لا تحصل

(5) انظر خاصة كتاب اللغة العربية ومشاكل الكتابة ، تأليف البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، سنة 1971 (الكتاب نفد منذ زمان) .

(6) راجع فصل الجديد في الطباعة العربية من كتاب « قضايا » تأليف البشير بن سلامة ، الدار العربية للكتاب 1977 .

له الفائدة تامة بل إنها تأتي هزيلة متعثرة بطيئة ، مما يكون له تأثير على مستوى التفكير والوعي بالقضايا . ويكون عند ذلك فريسة للوسائل الاعلامية الشفوية التي لم تكن دائما في المستوى المطلوب من حيث سلامة اللغة أو رفعة التفكير . وتكون الحلقة المفرغة وتبقى الجماهير غير قابلة للتطور الحتمي المفروض من العالم المتقدم والأدهى من ذلك أنها تحسب نفسها قد بلغته ولكنها لم تبلغه . ولولا النخبة العارفة باللغات الحية لما أمكن للعالم العربي أن يتقدم ويتحكم في مصيره .

هذه مشكلة من جملة مشاكل عديدة وهي ربما تدفع البعض الى التمسك برأيه في تخوفه من التعريب أو يظهر له تناقض في تحليلنا . غير أن ما وجدناه من حل في تعريب التعليم من جهة والابقاء على اللغات الحية وخاصة الفرنسية من جهة أخرى يزيل هذا التخوف بحيث يكون التونسي حاذقا في الآن نفسه العربية والفرنسية على الاقل الحذق الكامل ولكن هذا لا يكفي لتطوير اللغة العربية وجعلها ملائمة للعصر اذ انتماؤنا للأمة العربية الاسلامية يضع على عاتقنا عبء النهضة بها مع اخواننا المشارقة . فعسى أن نجد من الظروف ما يساعدنا على المساهمة في هذا الواجب المقدس فنكون عند حسن ظن اخواننا في العالم العربي ونكون قد شاركنا بقسطنا في جعل اللغة العربية الفصيحة لغة الجماهير ولغة الثقافة والحضارة الحق .

البشير بن سلامة

علامة استفهام

شعر : أحمد اللغماني

سارٍ ، واسحار المُعنَّى سُرى ... وراء وهم للمُنى لا يُرى

ساعٍ ، وما سعي بلا غاية ؟ ... فأيّ نجم في الدّجى ابصرا ؟

ساهٍ ، وفي اعماقه صحوة ... تستطلع الغيب وما أضمرا

سالٍ ، ونار البؤس في صدره ... اعيت بذاك القلب أن يُصهرا

سامٍ ، وان أنكره سافل ... وهل درى السّافل من أنكرا ؟

هذا الغريب الدّار في أهله ... والمفرد المنبوذ بين الورى

والتّائه ، الضارب في مَهْمَهٍ ... الف وهاد ، ونزيل ذُرَى

هذا الفتى المسلوب من اسمه ... لا نسبة ، لا رحم ، لاعُرى

لا موئل ، لا حيّ ، لا منزل ... لا جذر في منبته جذّرا

هذا الفتى : كاللغز مستغلق ... فمن يكون اللغز ؟ من يا تُرى

من ذلك الفارس ؟ لا دَارِعٌ ... درعا يردّ السيف والخنجرا

لا وازنٌ من عُجبه خطوة ، ... لا ساحبٌ من كبره مئزرا

ذو نظرة إمَّا رماها انبرت ... تفري المدى كالسهم اما انْبَرَى

تجتاز حُجْبَ الغيب في مدّها ... فتدرك المكنون والجوهرا

عين كعين الصّقر ، لا حالكٌ ... يصدّ مرماها ، ولا أغبرا

فتّاكة ان حدجت فاتكا ... خيِّرَة ان رمقت خيِّرا

الفارس الصعلوك في فجّه ... للسّلب يُوري نارَهُ والقِرى

غريبة اطوار هذا الفتى ! ... فمن هو الفارس ؟ من ياترى ؟

من ذلك الشاعر ؟ أبياته ... أنس الفيافي ، وعَمَّارُ العَرَا

لا خاطب صيتًا ، ولا نافخٌ — بُوقا ، ولا مُستنم منبـرا
لا وازن شطرا بميزانـه — لا خادعٍ قافيـة من ورَا
ما سلسل الاشعار الاّ جرى — من فيضه ما يُشبه الكوثرا
مصداح حق ، ليس ما بينه — وبين من يسمع ما يُفترى
اشعاره ما عرفت صفقة — رابحة في البيع او في الشِّرا
ولا جئت يوما ، ولا أطرقت — ترجو سحاب الجود ان يُمطِرا
يستلها كالسيف حينا فلا — يلبث قلب الصّخر ان يُذعَرَا
و قد يذرّيها بأجوائه — كما يُذَرّي المسك والعنبرا
تأتَلِفُ الأضداد في شعره — من ذلك الشاعر ؟ من ياترى ؟

الفارس المُنبتّ ، والشاعر الصّعلوك : طيفٌ اسمه ... الشنفرى

أحمد اللغماني

بورقيبة ومواجهة الرأي العام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية

بقلم د . عبد الغفار محمد حسين

- 2 -

بمناسبة عيد النصر وهو الاحتفال برجوع المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة منتصرا في غرة جوان 1955 . ننشر فصلا آخر من الدراسة التي قام بها الدكتور عبد الغفار محمود حسين الاستاذ بكية طنطا ..

الى فرنسا : (*)

وقضى بورقيبة مدة في مصر ثم أحس انه من الضروري وكما كسب لتونس أصواتا حرة في أمريكا يجب أن يكسب لها أصواتا حرة أخرى ولكن هذه المرة في فرنسا نفسها ، فما فائدة أن يكسب لقضية بلاده مؤيدين في العالم بينما الفرنسيون يصرون على موقفهم والصحافة الفرنسية تستمر في هجومها عليه وعلى سياسته وعلى الحزب الدستوري . واذن فقد آن الوقت لكي يقوم بعرض قضيته مرة اخرى في فرنسا ، وان المحاولة تلو المحاولة لابد ستأتي بالثمرة ولابد سيأتي اليوم الذي تجد فيه قضية تونس مؤيدين من الاحرار في فرنسا وستجد صحفا تقف بجانبها وسيجد اناسا يفهمونه ويفهمون سياسته ويقتنعون بها . ولتكن رحلته الى فرنسا .

خرج بورقيبة في الرابع عشر من ابريل سنة 1950 الى اوربا بعد ان قام بجولة له في الجنوب التونسي شحذ فيها الاذهان وهيأ النفوس لمعركة سلمية مع فرنسا أو معركة مسلحة اذا ما دعا الداعي الى ذلك،خرج بورقيبة وقد أحس بالحاجة الى جمع شتات الطلبة التونسيين في فرنسا وتهيئتهم للقيام بدور

(*) راجع مجلة « الفكر » العدد 9 ، السنة 23 ، ص 5 الى 12 .

الارشاد والقيادة ، والى انذار الرأى العام الفرنسى ، ومفاتحة المسؤولين الفرنسيين فى امر القيام بحوار جدى مع تونس حتى لا يصل الامر الى مرحلة الخطر ، وحتى لا يصل الى طريق مسدود . وبعد وصوله مباشرة الى باريس ادلى بتصريح الى صحيفة (لوموند) شكا فيه من أن الفرنسيين يصرون على عدم الاعتراف بارادة التونسيين المتزايدة فى التمرد والثورة وذلك فى الوقت الذى استرجع فيه ثلثا العرب استقلالهم ، وابدى رغبته فى الوصول مع فرنسا الى اتفاق مقبول ومعقول ، ولكنه لم يجد اذنا مصغية فخشى ان يؤدى ذلك الى اضطرابات مؤسفة فواصل طريقه دون تراخ وعقد ندوة صحفية في نفس اليوم صرح فيها بأنه يود ان يكون استقلال تونس باتفاق مع فرنسا ويكون لفائدتها ولفائدة تونس وقبل فوات الاوان(1). وفى اليوم التالى مد يده الى الفرنسيين وحدد مطالبه ومطالب بلاده فى سبع نقاط افضى بها الىوكالة الانباء الفرنسية A.F.P واضعا الفرنسيين بذلك أمام مطالب محددة حتى لا يترك لهم فرصة الهرب .

1) اقامة سلطة تنفيذية تونسية تكون امينة على السيادة التونسية .

2) تشكيل حكومة تونسية مسؤولة يرأسها رئيس للوزراء يعينه الباى ويصبح رئيسا للدولة .

3) الغاء الكتابة العامة .

4) الغاء منصب المراقبين المدنيين وترك السلطة للتونسيين .

5) الغاء الجندرمة الفرنسية لانها موضوعة تحت اشراف وزير الدفاع الفرنسى وهذا يجعلها تمثل احتلالا عسكريا .

6) تأسيس بلديات منتخبة تمثل فيها المصالح الفرنسية فى الاماكن التى يوجد بها اقليات فرنسية .

7) انشاء مجلس قومى منتخب بالاقتراع العام يعد لدستور ديموقراطى ينظم العلاقات بين فرنسا وتونس على اساس احترام مصالح فرنسا الشرعية بشرط احترام السيادة التونسية (2) .

---

(1) تصريح بورقيبة الى صحيفة لوموند فى 14 ابريل 1950 :
Centre de Document - :
action National, Doc. XI. Le Neo Destour Engage Un Ultime dialogue. 5051. Tunis 197. PP. 125-126

(2) البنود السبعة . المرجع السابق ص 127 ـ 128

ثم ارسل بورقيبة رسالتين الى صديق له هو العابد بوحافة كان يشرف على لجنة المغرب فى الولايات المتحدة نشرتهما جريدة (الفيجارو) فى 5 ابريل سنة 1952 ولكنها اسقطت من الرسالة الاولى المرسلة فى 23 مايو سنة 1950 ستة اسطر . وفى الرسالة الثانية فى 5 يوليو سنة 1950 كان بورقيبة يرفض فيها كل تحالف مع الحزب الدستورى القديم لانه (شرذمة يغلب عليها الحسد والحقد) وعاجزة عن العمل المفيد الناجع .

وكان يهدف من ذلك الى توضيح برنامج النقاط السبع والدفاع عن سياسته التى تقوم على أساس بذل جميع الجهود للحصول على اتفاق مع فرنسا بالطرق الدبلوماسية ويأمل الا يلتجىء التونسيون الى المقاومة المسلحة اذا لم يصل مع فرنسا الى اتفاق بالطرق الودية (3)

وفى 28 ابريل عقد بورقيبة ندوة صحفية فى نزل لوتيسيا Hotel Lotetia حضرها م. جي موليه سكرتير عام الحزب الاشتراكى الفرنسى ، و م. غورى وزير الشؤون الاسلامية وم. شارل اندرى جوليان وم. سافارى العضوان بمجلس الوحدة الفرنسية ، وفى هذه الندوة القى بورقيبة بيانا ضافيا عن العلاقات التونسية الفرنسية وعن موقف الحزب الدستورى منها وقال: إن الحماية مفروضة بقوة السلاح ومع ذلك فقد اعترفت فرنسا بأنها نظام وقتى يزول بزوال اسبابها ، ولكنها مع ذلك سارت فى طريق فرنسة الادارة فى تونس وعمدت الى سياسة ملتوية للقضاء على الشخصية التونسية، وطالب الشعب الفرنسى بأن يرد للتونسيين وطنهم اذن لا داعى لاضطرابات دامية قد لا تؤول نتيجتها لمصلحة فرنسا (4)

وكانت احدى الدول العربية قد اذاعت ان تونس تنوى عرض قضيتها على هيئة الامم ، فكذب بورقيبة فى أول مايو ذلك وقال : إنه لا يزال على موقفه ويفضل أولا اجراء حوار مباشر مستمر مع فرنسا للوصول الى استقلال تونسى وللحفاظ على علائق الود والتعاون معها وهو ما جاء الى فرنسا الا من أجل هذا، وحتى لا يصل الموقف الى حالة القطيعة ، كما أنه ادلى بحديث آخر الى (جورنال دى جنيف) صرح فيه بأنه لو استمرت فرنسا على تعنتها فانه ليس أمام التونسيين الا الكفاح المسلح فى سبيل حريتهم (5)

---

(3) شارل اندريه جوليان : افريقيا الشمالية تسير . ترجمة المنجى سليم وآخرون . تونس 1976 ص 215 ـ 216

(4) ندوة بورقيبة فى نزل لوتيسيا فى 18 ابريل 1950 المرجع السابق ص 129 ـ 131

(5) بعث أمة وبناء دولة . ص 46

وفى الثامن عشر من مايو دعتـه الكتلة البرلمانية الاشتراكية التى كـانت تضم نواب هذا الحزب فى مجلس النواب الى اجتماع فى احدى قاعات البرلمان ووجد بورقيبة الفرصة السانحة ليبسط قضيةتونس وبرنامج الحزب الدستورى ومطالب الشعب التونسى باسهاب (6) وتكررت هذه الفرصة امام المجمـوعـة البرلمانية (الكتلة الجمهورية الشعبية M.R.P) وهنا ذكر أن المطالب السبعة التى تقدم بها تمثل اساسا صالحا لقيام حوار بين تونس وفرنسا على اساس ان تنال تونس استقلالها بالتعاون مع فرنسا وعلى اساس الحفاظ على مصالح فرنسا فى تونس بشرط ان يتم ذلك فى نطاق السيادة التونسية (7) واقتنع رجال الاشتراكية فى فرنسا بهذه المطالب فاقترح الحـزب الاشتراكى فى مؤتمره الذى عقد فى باريس فى آخر مايو فتح حوار مع تونس وممثليها من أجل :

1) تحديد موعد لالغاء الحماية وانهائها والوصول بتونس الى الاستقلال .

2) ادخال اصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية فى تونس توفر النظام الديموقراطى فيها .

3) عقد معاهدة بين البلدين على قدم المساواة فى شؤون الدفاع والخارجية والاقتصاد والثقافة (8)

حدث هذا فى الوقت الـذى كانت وزارة الخـارجية الفـرنسية تصـر على التمسك بتونس وعلى ضرورة المشاركة فى حكمها ، واعلن متحدث بلسانها ان بورقيبة لا يمثل تونس (8) فما كان من الباى الا ان جدد له الثقة وأرسل له رسالة بهذا المعنى ، فثارت ثائرة الجالية الفرنسية فى تونس من أجل موقف المجموعة الاشتراكية وخشيت أن ينجح بورقيبة فى اقناع المسؤولين بوجهة نظره ، وذهبت وفودها الى باريس واحدة بعد الاخرى لتناهض هـذا النشاط وأرسل انطوان كولونا النائب الفرنسى فى البرلمان ممثلا للجالية رسالة الى صحيفة الموند فى 5 مايو سنة 1950 كما ارسل العديد من ممثلى هذه الجالية مذكرة مطولة الى روبير شومان Robert Schuman حذروا فيها من

---

(6) حديث بورقيبة امام المجموعة البرلمانية الاشتراكية فى 18 / 5 / 1950 Doc. XI. PP. 138-140

(7) حديث بورقيبة امام المجموعة البرلمانية M.R.P. فى 16 يونية نفس المصدر ص 141 ـ 142

(8) بعث أمة وبناء دولة ص 47

(9) Doc. XI; P. 185

أخطار تصوروا وقوعها لو استجابت فرنسا لمطالب بورقيبة ، وختموا المذكرة بأن الوضع الطبيعي الذى يحفظ لهم ولفرنسا حقوقهم هو ضرورة ان يشاركوا فى حكم تونس ، وأن تظل بلدا مرتبطا بفرنسا (I0)

ورغم كل هذا فقد استمر بورقيبة فى عمله وقام منذ اول يونيو بجولة فى ربوع فرنسا جمع فيها الطلبة التونسيين وشرح لهم الامور فى تونس ، واستمر يناقش فيها رجالات فرنسا الاحرار فى أمورها وفى قضاياها .

وأثار هذا الموقف كلا من م. ناجلان الوالى العام للجزائر والجنران جوان المقيم العام فى مراكش فقاما لنجدة المعمرين واعلنا انهما لا يتحملان مسؤولية الامن فى البلدين اذا ما ادخلت فرنسا اصلاحات جوهرية فى تونس ، ومع ذلك فقد احرز بورقيبة نصرا حين قامت السلطات الفرنسية بتأثير الحزب الاشتراكى الفرنسى بتغيير الاقامة العامة وتعيين م. بريه M. Perillet بدلا من مونص Mons ، ولكن بورقيبة لم يكن بالرجل الذى يقنع بشكليات فتغيير الاقامة العامة ليس هو المراد ، فقام بشرح حقيقة الموقف ويعلن أن تغيير الشخصية للمقيم العام لا يكفى انما المراد هو ارجاع السيادة الحقيقية الى التونسيين وقيام دولة تونسية لها شخصيتها الخاصة يتمتع فيها التونسيون بمقاليد الحكم فى بلدهم حسب اعتراف صريح جاءت به نصوص المعاهدات ، وبعدها تستطيع تونس ان تعقد معاهدة تحالف وصداقة مع فرنسا تضبط العلاقات بينهما (II) فما كان من روبير شومان الا ان صرح أن مهمة م بريه انما هى تفهم الموقف فى تونس والسير بها الى الازدهار والى طريق الاستقلال ، وقام بريه من ناحيته فصرح بمثل هذا ، فوقف بورقيبة مرحبا ومجندا وطالب بعمل ايجابى يحقق هذا الوعد واقترح :

I ــ ان يقوم بريه بالاتفاق مع الباى وممثلى تونس على محتوى ومدة المراحل اللازمة لتحقيق هذا الاستقلال .

2 ــ وأن يقوم بتطهير الادارة العليا من العناصر الرجعية ، وان يستعين باعضاء صادقين يؤمنون بسداد هذه السياسة .

(I0) رسالة السناتور انطوان كولونا الى صحيفة الموند فى 5 / 5 / 50 ومذكرة المعمرين الفرنسيين الى روبر شومان فى 25 مايو سنة I950 المصدر السابق 200 ــ 225

(II) بين تونس وفرنسا ص 279 ــ 280

كما اشار الى البنود السبعة التى تقوم بها كاساس صالح لاجابة مطالب تونس (12)

وقبل ان يعود بورقيبة من جولته هذه القى كلمة ضافية فى 31 يولية 1950 ودعا فيها نواب الجمعية القومية ومجلس الشيوخ ومستشارى المجلس الجمهورى، والصحفيين ورجال السياسة وشرح فيها مرة أخرى قضية تونس وأشار الى انها وان كانت قد كسبت حضاريا وماديا وفكريا واجتماعيا فى ظل الحكم الفرنسى فانها خسرت كرامتها وحريتها من جراء التسلط العسكرى والادارى الفرنسى ، واستغلال امكانيات البلاد لمصلحة المستعمرين الفرنسيين . وقال ان صفوف الشعب التونسى ممثلة فى الحزب الدستورى الذى يلقى تأييد الباى وتعضيده ، والوزارة التونسية والحجرة الفلاحية ، ونقابة العمال ، والاتحادات المختلفة تطالب برفع هذه السيطرة عن البلاد ، واقامة حكومة تونسية وطنية مسؤولة تتولى ضبط كيفية التعاون بين تونس وفرنسا .

ثم اظهر اسفه من أن كثيرا من الفرنسيين لا يزالون لا يؤمنون بعدالة هذه المطالب ، ويتمسكون بحقهم فى الدفاع عن تونس وحماية مصالحهم بالقوة ، وذلك دون النظر الى مصلحة التونسيين وحقهم فى الحرية فى بلادهم ، بل انهم اصبحوا يعتقدون ان سياسة القهر والاستعلاء هى السياسة الناجحة لصيانة بلادهم مع أن العكس هو الصحيح ، اذ التعاون القائم على تبادل المصالح فى ظل الحرية والعدالة هو الافضل وذلك بالطبع يرجع الى خضوع الحكومة الفرنسية الى تسلط المعمرين الذين طغت عليهم الخيلاء وقصرت عقولهم عن ادراك حقيقة تطور الشعب التونسى وادعوا ان تخفيف وطأة فرنسا عن تونس معناه تهديد لامنهم وضياع لمصالحهم وهزيمة لفرنسا . واختتم كلامه بأن الشعب التونسى يعتمد على تفهم رجالات فرنسا الاحرار لحقيقة الموقف فى تونس (13)

ثم سرعان ما أدرك بورقيبة حقيقة الحال وأن بربيه يتجه الى ادخال اصلاحات شكلية ، ورقابة الكاتب العام والمقيم العام على التصرفات الادارية والتشريعية ما زالت سارية وأنها عملية مفروغ منها ، فما كان منه الا ان ارسل الى اصدقائه

---

(12) المرجع السابق ص 280 ـ 282
(13) المرجع السابق ص 282 ـ 290

فى فرنسا يشرح لهم خطورة ذلك ويوضح لهم ان هذا الخداع والتراجع سوف يؤدى الى تفاقم الحال (14)

ثم تشكلت وزارة تونسية برئاسة محمد شنيق اطلق عليها (الوزارة التفاوضية) لأنها اعدت لاجراء مفاوضة مع فرنسا ، وضمت هذه الوزارة عضوين من الحزب الدستورى ، وذهبت الى باريس . وبدأت المفاوضات التى أخذت تتعثر بعد قليل امام مراوغة السلطات الفرنسية وسعايات المغرضين ومؤامرات المعمرين وتمسكهم بمصالحهم مع استخدامهم للعنف والمؤامرات ، وكان بورقيبة قد ذهب الى باريس للتداوى فكتب فى 28 نوفمبر يشرح حقيقة الموقف ويبدى أسفه لتراجع الفرنسيين عن وعودهم ، ويهاجم وعودهم فى الاصلاح ويوضح لهم ان ما يبغونه حقيقة انما هو العبث والمراوغة ، ويوضح لهم ان ما يريده الشعب التونسى انما هو الاستقلال الذى لن يرضى عنه بديلا ، وان تعثر المفاوضات انما يوضح حقيقة النوايا الفرنسية وتمسكها بمشاركة المعمرين فى ادارة تونس واشرافهم عليها ، متعللين فى ذلك بتعديلات لا قيمة لها ، وانهم ـ حتى يعرقلوا المفاوضات ـ يقومون بتحدى الاهالى مثلما فعلوا فى النفيضة التى أمر المراقب المدنى نفسه فيها باطلاق النار على الاهالى ، وقال : إنه من الخير لفرنسا وللمعمرين الالتفات الى مصالحهم الحقيقية والتعاون مع تونس الحرة المستقلة ، وانهم بمحاولتهم فرض مصالحهم بالقوة سيبوؤون حتما بالفشل حيث ان الشعب التونسى لن يرضى عن الاستقلال بديلا . وقد جربت فرنسا فى فيتنام وفشلت ، وستبوء بالفشل ايضا فى تونس لو كررت سياسة القوة الغاشمة متجاهلة روح الوطنية عند التونسيين . والحزب الدستورى ـ المؤيد من قبل الباى والشعب التونسى ـ حينما شارك فى وزارة التفاوض، كان ذلك على أساس تصريح وزير الخارجية والمقيم العام ، واذا ما ثبت له فى النهاية سوء نية المسؤولين فانه لن يتردد ـ آسفا ـ فى الانسحاب من الوزارة، وحمل لواء المقاومة حتى تنال تونس مطالبها (15)

ثم عاد بورقيبة الى تونس ليخرج منها مرة أخرى فى 2 فبراير سنة 1951 ولكن الى الشرق هذه المرة . فقد تعثرت المفاوضات كما رأينا ، ووصلت الى طريق

(14) رسالة بورقيبة الى احد اصدقائه فى باريس فى 9 أغسطس سنة 1950 C.D.N. ; Doc. XI. PP. 344-345

(15) القول الحق فى القلق التونسى . رسالة بورقيبة فى باريس فى 28 نوفمبر سنة 1950 : بين تونس وفرنسا . ص 293 ـ 299

مسدود ، واراد بورقيبة ان يكشف حقيقة النوايا الفرنسية ويدعم موقفه وموقف القضية التونسية خاصة وأن تونس كانت مقبلة على بسط قضيتها امام هيئة الامم ، وسترينا الظروف والمواقف ان هذه الجولة التى قام بها بورقيبة الى الشرق والى باكستان كانت جولة مفيدة لان هذه الدول - كما سنرى - ستناصر هذه القضية وستقف معها موقفا طيبا .

فى الشرق :

فى الطريق الى الشرق مر بورقيبة بالقاهرة حيث قضى فيها بضعة أيام سافر بعدها الى باكستان ونزل بكراتشى حيث قابل رئيس الحكومة علي خان وخرج منها الى لاهور فعقد فيها ندوة صحفية فى أول مارس سنة 1951 واوضح فيها انه اما ان يتحرك العالم اذا ما بدأت المعركة بين تونس وفرنسا وفى هذه الحالة ستحقق تونس النصر كما حدث فى اندونيسيا ، واما أن لا يتحرك فتبقى تونس منعزلة وحيدة فى الميدان وحينذاك سيكون مصير قضيتها الفشل كما حدث فى مدغشقر (16) وواصل جولته الى دلهى فوصلها فى 22 منه صحبة الطيب سليم وقابل جواهر لال نهرو ومنها الى كوالا لمبور ثم جاكرتا فى العاشر من أبريل حيث قابل احمد سوكارنو وخطب في جاكرتا في أعضاء حزب (مسجومى) الاسلامى النزعة.وبعدها عاد الى كوالالمبور مرة أخرة ثم الى بمباى فكراتشى وحضر فيها المؤتمر الاسلامى الثانى الذى عقد في الثامن من مايو وألقى فيه كلمة باسم شعب تونس وباسمه وملكها الباى محمد الامين دعا فيها المجتمعين والعالم الاسلامى الى بحث حالة الامم والشعوب الاسلامية التى ترسف فى اغلال الحماية، والى دراسة الوسائل التى يمكن ان تساعد هذه الشعوب على نيل استقلالها وحريتها ، وقال ان تونس على استعداد لخوض معركتها الى النهاية ، وهى معركة شرسة يجب على الشعوب الاسلامية اذا ما قامت هذه الحرب وهذا الصراع الا تترك شقيقتها تونس بمفردها وأن تقف فى وجه فرنسا وترفع صوتها مطالبة بالكف عن السياسة الاستعمارية فى المغرب العربى ، وجذب كل الشعوب العربية والمحبة للسلام للوقوف معها ، ومطالبة هيئة الامم المتحدة بتطبيق نصوص ميثاقها فى هذه المنطقة (17)

---

(16) رسالة بورقيبة الى محمد المصمودى . من نيو دلهى فى 23 مارس سنة 1951 ص 21 - 26 C.D.N. ; XI. Doc. XIII.

(17) نص حديث بورقيبة امام المؤتمر الاسلامى بكراتشى فى 27 / 5 / 51 . المصدر السابق ص 15 - 18

وقد أتاح هذا المؤتمر لزعماء الشعوب الاسلامية أن تتلاقى وتتعارف وتشعر بالقوة التى تمثلها فى العالم ، وتدرس الصعوبات والعقبات التى تقوم فى طريقها ، فأخذت ترسم عملا مشتركا غايته التعجيل بتحرير الشعوب الاسلامية من ربقة الاستعمار ، كما ادركت ان التضامن الحقيقى يجعل منها قوة تدفع العالم الاستعمارى الى أن يعمل له حسابه ، وشعر المجتمعون بأن العالم الاسلامى وقوته هو وسيلة صارمة فى طريق تقدم المسلمين .

وتبين لبورقيبة فى هذه الجولة ان الناس فى باكستان واندونيسيا على علم قليل بمشاكل شمال افريقيا ، ولم يكونوا يدركون حقيقة ما يقوم فى طريق كفاح هذه المنطقة من مصاعب ولذلك فقد قال بورقيبة بأنه لا بد لزعماء الشمال الافريقى من بسط قضيتهم ومشاكلها،لانها فى حاجة الى القوة الادبية والمساعدة الدبلوماسية لاكراه فرنسا على ترك سبيل القوة والاستماع الى صوت العقل ولذا فهو لم يترك باكستان الا بعد ان اسس فيها لجنة (احباب المغرب) وهى لجنة ضمت بين صفوفها عددا من الشخصيات الكبيرة لتى تعرفت الى المغرب وآمنت بقضيته ، وتمنى بورقيبة لو أنه بعث بأحد الشخصيات التى تعرف اللغة الانجليزية فتقيم فى هذه المنطقة وتكون واسطة بين الحركة القومية والتونسية وهذه الشعوب الصديقة (18)

فى أوربا :

وبعد هذه الجولة سافر بورقيبة مباشرة الى أوربا ، فهو رجل لا يمل يعرف كيف يتحرك وحط فى ميلانو ليشارك فى مؤتمر (الاتحاد العالمى للنقابات الحرة U.G.T.) وكان الى جانب الزعيم النقابى الكبير فرحات حشاد ، وفى حديثه عن الموقف السياسى فى تونس كان صريحا اذ اجاب عن السبب الذى جعل تونس تفصل الاتحاد العام للعمال التونسيين U.G.T.T. عن الاتحاد العام العالمى للنقابات بأن ذلك يرجع الى أن هذا الاتحاد يهتم بمصالح الاتحاد السوفيتى والشيوعية فقط ، ولان التونسيين يعملون من أجل حرية الشعوب والافراد فى تونس وفى غيرها (19)

---

(18) من حديث بورقيبة لمراسل صحيفة (الجمهورية الجزائرية) لسان حال الاتحاد الديمقراطى للبلاغ الجزائرى . بين تونس وفرنسا ص 319 ــ 328

(19) حديث بورقيبة الى B.B.C. فى 5 اغسطس Le Neo Destour engage un ultime dialogue. Doc. XII. PP. 54-58

ثم ذهب الى لندن فوصلها فى 17 يولية حيث عقد فيها عدة اجتماعات مع العديد من الشخصيات البريطانية السياسية والصحفية وقادة المنظمات، وزار نوادى عدة ، وأقام له عدد من أعضاء مجلس اللوردات مأدبة عشاء ، وفى مجلس العموم اجتمع باعضاء الكتلة البرلمانية لحزب العمال وتحدث اليهم، كما افضى ايضا بعديد من التصريحات للصحف ووكالات الانباء واذاعة لندن ، وفى احاديثه هذه كانت قضية تونس هى محور الاهتمام ، ففى مجلس العموم حيث التقى بجماعة من نواب حزب العمال ومن بينهم لسلى هال Lislie Hale وهو رجل كان قد زار تونس فى صحبة م. فنر بروكواى.M. Fenner Brockway رئيس المؤتمر الشعبى ، وذلك لحضور المؤتمر الذى عقده الاتحاد العام للعمال التونسيين فرأى بنفسه الاحوال فى تونس ، ألقى بورقيبة بيانا تفصيليا عن الحالة السياسية فى تونس ، وركز بصفة خاصة على الصورة الدولية للتجربة الحالية فيها ، وأكد ان العقبة الرئيسية امام قضية تونس وامام التقارب التونسى الفرنسى انما هو موقف الاستعمار الفرنسى الذى يركز اهتمامه على المصالح الخارجية لفرنسا ، وأجاب عن الاسئلة العديدة التى وجهت اليه وخاصة من مسيو ريد Reid سكرتير عام حزب العمال .

وكان وجود بورقيبة فى لندن فى ذلك الوقت فرصة التقى فيها بالعديد من الدبلوماسيين العرب وعقد معهم عددا من الاجتماعات (20)

وامام الاسئلة العديدة التى وجهت الى بورقيبة افاض فى شرح قضية بلاده وأوضح حقيقة الموقف فيها . فذكر ان تونس حققت وحدتها تحت رعاية الباى وهى تصمم على نيل حريتها واستقلالها فهى تعانى من تحكم 150 ألف فرنسى فى اقتصادها وامورها السياسية والادارية ، وان فى تونس الحزب الدستورى الذى يضم 300 ألف عضو ينتشرون فى المدن والقرى والبوادى يعملون فى حزم واصرار على تحرير بلادهم وتخليصها من الاستبداد الفرنسى ، وذكر بورقيبة ان تونس التى تعانى من هذا الاستبداد انما تأمل فى وقوف احرار العالم معها وتأييدهم لقضيتها العادلة ، وهو من اجل هذا قد زار الهند وباكستان والملايو وسيلان واندونيسيا ووجد الشعوب فى هذه المناطق تساند قضية تونس وتقف مع قضايا الحرية والعدل فى كل مكان ، والآن جاء الدور على احرار الشعب البريطانى ليؤدى دوره لخدمة هذه القضايا ، وللوقوف امام الشيوعية الدولية .

---

(20) بورقيبة فى لندن . المرجع السابق ص 52 – 53

وهو جد مسرور لما لمس من تعاطف نواب حزب العمال مع تونس وقضيتها فان فى انجلترا شعبا عظيما يؤيد مثل هذه القضايا (21) .

ولما دعته مجموعة العمال البرلمانية لالقاء كلمة توضيحية عن قضية بلاده ، وعقد هذا الاجتماع تحت رئاسة النائب المشهور سلوين لويد Sellwyn Loyd فى 24 يولية قام بورقيبة بشرح هذه القضية ، ووضع امام المجتمعين الصعوبات والمشاكل التى تعترض الحزب الدستورى وتعترض تونس لتحقيق حكم ديمقراطى حقيقى فيها ، تصبو اليه كل التنظيمات الوطنية ، وهاجم الموقف السلبى الذى تتخذه فرنسا التى ترفض حقوق الشعب التونسى فى الحرية والاستقلال مما يهدد بقيام مواجهة مسلحة بين الشعب التونسى وفرنسا ، ولكن الشعب التونسى يلجأ اولا الى احرار العالم للوقوف معه فى معركته حتى تثوب فرنسا الى رشدها ، ورغبة فى تجنب هذه المواجهة ، ولما سئل بورقيبة عن كيفية قيام تونس بالدفاع عن نفسها وضمان ذلك فى حالة حصولها على الاستقلال ، وعن موقفها من (الاتحاد الفرنسى) رد بأنها يمكن ان تعقد مع فرنسا معاهدة دفاعية ، اما اذا حدث العكس وحصلت تونس على الاستقلال بالقوة المسلحة دون الاتفاق الودى مع فرنسا فانها فى هذه الحالة ستعقد هذه المحالفة الدفاعية مع دولة اخرى ، وتونس عموما تؤكد قدرتها على الدفاع عن نفسها ، اما فيما يختص (بالاتحاد الفرنسى) فقد قال بورقيبة ان تونس ترفضه لانه فى الحقيقة شكل من اشكال الاستعمار ثم استطرد بورقيبة فذكر ان ادعاء البعض بأن اقتصاد تونس يتدهور انما هو ادعاء يتجنبه الصواب لان الحقيقة هى أن هذا الاقتصاد تعرض لنهب المعمرين ، واذا ما استقلت تونس فانها يمكنها ان تقيم أسسا جديدة لاقتصاد جديد يخدم الشعب التونسى ويحقق له مصالحه ورفاهيته ، وذلك بالعناية بالتصنيع والبحث عن المواد الخام واستخدام اليد العاملة الوطنية ، وازاء هذا كله فان تونس تطالب الانجليز بأن يقوموا باقناع فرنسا بالتخلى عن سياستها الحالية وتطبيق سياسة أكثر عدالة ، وبأن يقنعوا الرأى العام بذلك وبأن يقدموا المساعدة لتونس اذا ما حدث الاصطدام مع فرنسا . (22)

---

(21) حديث بورقيبة الى B.B.C. فى 5 أغسطس .

(22) خطاب بورقيبة أمام مجموعة العمال فى مجلس العموم . نشرته جريدة الصباح التونسية فى 9 أغسطس سنة 1951

Le Neo Destour engage un ultime dialogue. Doc XII PP. 59 - 62

ودوى صوت بورقيبة فى أوربا فجاء مراسل صحيفة (بلجيكا الحرة) م. رايموند لاكوست الى لندن ليقابل بورقيبة وليحصل منه على حديث وليتعرف على الحزب الدستورى ومبادئه وعلى علاقات تونس بفرنسا وفى هذا الحديث ابدى بورقيبة أسفه من أن فرنسا لم تنفذ ما سبق أن اعلنه م. روبير شومان فى II يونية سنة 1950 وابدى استياء من حكم المقيم العام بريبه (Périellet) وما وعد به من العمل على استقلال تونس ، وانها لا تزال تحظر اجتماعات الحزب الدستورى ، ولا تزال تحتفظ فى يدها بكل السلطات الفعلية، ولا تترك للتونسيين اى سلطة فى حكم بلدهم ، وقال ان التونسيين يريدون الغاء الحكم الفرنسى المباشر ويطالبون بمجالس بلدية منتخبة ، ومجلس تشريعى منتخب بالاقتراع العام يناط به وضع دستور ديموقراطى ، وايجاد شكل عادل للعلاقات بين تونس وفرنسا .

ولما سئل بورقيبة عما اذا كان فى نية تونس رفع شكوى امام هيئة الامم أجاب بأن هذا غير وارد الآن ولكنه قد يفكر فيه اذا لزم الامر . وأن فى نيته زيارة السعودية (23) استكمالا لجولة اعلامية من اجل قضية تونس .

الصحافة السويدية وبورقيبة :

وكتبت الصحافة السويدية أحاديث مع بورقيبة عنه وعن قضية تونس، فقد ذكرت صحيفة داجانس نيبتار Dagens Nyheter فى 9 أغسطس انه يريد وضع حد للسيادة الفرنسية وتدخل الفرنسيين فى حياة الناس العامة ، وأشادت برحلاته الى مصر والشرق الاقصى ، تلك الرحلات التى اطلعت الرأى العام على قضية تونس والمغرب ومطالبها العادلة (24)

وذكرت صحيفة ستكهولم تيدننجن Stockholm Tidningen فى 9 أغسطس ايضا ان بورقيبة رجل ذكى وذو حركة دائبة وضع السلطات الفرنسية بنشاطه الجم وحكمته موضع الاختبار منذ سنة 1934 فهو قد ترأس الحزب الدستورى الذى عمل لاستقلال تونس ولتحقيق العدالة الاجتماعية فيها ، اما عن نشاطه وجهاده فقد قالت : انه يمثل

---

(23) حديث بورقيبة مع مراسل صحيفة (بلجيكا الحرة) فى 24 اغسطس سنة 1951 المرجع السابق ص 63 ـ 69

(24) حديث بورقيبة لصحيفة داجانس نيبتار Dagens Nyheter فى 9 أغسطس سنة 1951 المرجع السابق ص 70 ـ 71

ديناميكية مرنة فهو لا يريد القاء الفرنسيين فى البحر كما يدعون وانما يريد فقط أن يتركوا للتونسيين ادارة شؤونهم بأنفسهم (25) اما صحيفة سفينسكا داڤبلاجيت Svenska Dagblaget فقالت : إن بورقيبة لا يريد الا التعاون مع فرنسا فى اطار من الصداقة ولكن بعد ان تنال تونس استقلالها وتنال حريتها وتمسك بزمام شؤونها ، وهى جديرة بهذا فقد بلغت من التطور حدا يمكنها من ذلك وقام بورقيبة من جهته فأرسل الى (استكهولم) فى 8 أغسطس سنة 1951 يقول ان العمل المباشر هو هدفه،وان من الواجب الاعتراف بأن بلادا عديدة مستعمرة نالت حريتها عن طريق المعارك اما هو فانه يقوم بهذه الرحلة لتوجيه الاذهان والرأى العام نحو عدالة قضية بلاده لان الحزب الدستورى يريد تحقيق حرية تونس بالتفاهم مع فرنسا عن طريق الحوار المباشر ، وهو على هذا يتجه الى المؤتمر الذى سيعقده الاتحاد الحر للعمال فى استكهولم فى الفترة من 9 الى 11 أغسطس آملا منه الوقوف مع الحق التونسى ، وكان يأمل التحدث مع قادة الحزب الاشتراكى ـ الديمقراطى فى السويد ولكنه لم يتمكن من ذلك (26)

وبعد رحلة بورقيبة فى السويد وبلجيكا عاد الى لندن ثانية وقابل م. ماسيجلى M Massigli سفير فرنسا فى لندن وعقد معه اجتماعا تحادثا فيه عن القضية . (27)

(يتبع)

---

(25) حديث بورقيبة لصحيفة ستكهولم تيدننجن Stockholm Tidningen فى 9 أغسطس سنة 1951 المرجع السابق ص 72 — 73

(26) رسالة بورقيبة الى استكهولم نشرتها صحيفة البتى ماتان فى 18 أغسطس سنة 1951 المرجع السابق ص 74 — 75

(27) رسالة بورقيبة الى رويتر فى 24 أغسطس سنة 1951 المرجع السابق ص 76 — 78

تحيــــة المعلــــم

شعر : الشاذلى عطاء الله

مـن كالمعلـم فى شجـاعة روحـه   وكفـاحـه وحمـاسـه المتدفـق ؟
ألف الصعاب فلم يـلاق اشدهـا   الا بـوجـه مشـرق متطلـق !
من مثله ! ضحى بشـرخ شبـابه   وسخى براحتـه ولـم يترفـق ؟
لم تغـره متـع الحيـاة فجـد فـى   صقل العقول وفتـق ما لم يفتـق
من كالذى أحيا الموات فاصبحت   زهرا يرف وبرعمـا لم ينشـق ؟
قلب الحقـول الذاويـات حدائقـا   غلبـا مـوشعـة بزهـر الزنبـق
وجلا العقول فشـع نـور خـاطف   لـولا بـراعة صقلـه لـم تشـرق
مـن كالمـواصـل ليلـه بنهـاره   يشقى لنسعد فى الحياة ونرتقى ؟
يحيى الليـالى كـى تقـر عيوننـا   ونعانـق الحلـم الجميـل ونلتقـى
ويظـل يجهـد نفسـه متـوخيـا   خيـر المناهـج لاختيـار الاوفـق
حتـى أعـاد الى الحيـاة شبابهـا   فتبسمـت عـن ثغرهـا المتـألـق
وأقالهـا مـن عثـرة الجهل المخـ   ـرب فاستطاعت أن تظل وأن تقى
من كالذى استعـلى بعـزة نفسـه   وسمـا بهمتـه فلـم يتملـق ؟
ورأى الحياة تضيق عـن آمـالـه   فطوى الفؤاد على الرجاء المخفـق ؟
واكـب يقضـم عمـره مستسلمـا   للحظ لـم يكفـر بـه أو يحنـق
وقضى الحيـاة عـلى تفقـد بـذره   ورعاية الغصن الـرطيب المـورق
يتعهد الروض النضير ويحجب الـ   ـزهرات عن لفح الهجير المحـرق
رضـى الجـزاء وكان كـل عـزائه   ان تحرز الخضراء فضل الاسبـق
ويرى الشباب وقـد تبـوأ رتبـة   عليـا فأصبـح فى المقـام الأليـق
ومـن الـذى وفـى المعلـم حقـه   أو كـان يقدر قدر هذا المرهـق ؟
وهو الذى شق الطريق ، وعبد الـ   ـدرب الطويل ، وقاد سير الفيلق
لكن عزة نفسه ، وشعوره الفيـ   ـاض فـى تفكيـره المتعمـق

.. كانا له العوض الثرى ليخـ ـدم الوطن العزيز بهمة وتعلق

★ ★ ★

يا رائد الاجيال تقتحم الصـ ـعاب مغامرا ومضحيا لم يشفق
.. حملت اعباء الرسالة لم تضق ذرعا بباهضها ولا بالمأزق
ورفعت رايتها ترفرف فاهتدت أجيالنا برفيف هذا البيرق
وحملت مشعلها يضيء المدلـ ـهم بنوره المتوهج المتدفق
فلانت روح النهضة الكبـ ـرى ومعلي صرحها ومعده للمرتقى
ولانت مرسلها تدوى فى الشبـ ـاب فتقلب الاوضاع وفق المنطق
.. لتهيء الاجيال للاسهام فى بعث الحياة وخلق ما لم يخلق
فاحمل رسالتك التى حملتها وارتق بعزمك خرق ما لم يرتق
واجل الحقيقة فى نصاعة روحها وجمالها الخلاب والمتأنق
وابذر بذور النبل فى روح الشبـ ـاب ورووه بزلالك المترقرق
البسه من اخلاقك الغر القشيـ ـب وحله بحلى الكمال المطلق
حتى يكون القدوة المثلى ومفـ ـخرة الشباب الناهض المتفوق

★ ★ ★

يا باذرا لم يلق حبا فى الثرى بل حكمة شعت بقلب المتقى
ومعالجا ما قد تصلب من عقـ ـول لم تضق بذكائه المستغلق
.. حييت من شهم أبى ايمانه بـا لنبل ان يحيا حياة المملق
فاختارها صورا من الامجاد لا يعدو الزمان على سناها المشرق
واراده عملا رفيع المستوى رحب المدى لا فى النطاق الضيق
وغدا المربى للنفوس وللنهى وسما فلم يسبق كما لم يلحق
فلتسعد الخضراء بالرسل الالى
.. انتشلوا العقول من الضلال المحدق
وليرفع اسمك ! وليخلد مجده ! ولتبق فى التاريخ تاج المفرق

الشاذلي عطاء الله

جُون ديوي الفيلسوف المربّي وفلسفة التربية

بقلم : محمد فاضل الجمالي

بدأت أدرس فلسفة جون ديوى التربوية وأنا طالب فى الجامعة الامريكية فى بيروت ثم كان لى الحظ ان احضر محاضراته وخطبه يوم كنت طالبا فى كلية المعلمين بجامعة كولمبيا 1929 ـ 1932 وكان من حسن حظى أن أحضر الاحتفال بعيد ميلاده يوم بلغ السبعين سنة 1929 من العمر وبعد عشرين سنة 1949 حضرت عيد ميلاده التسعينى وسمعته يخطب فى كلا المناسبتيـن . تعرفت عليه شخصيا فى بيت صديقه الحميم أستاذى المرحوم كلباترك فوجدت فيه مثال الانسان الوديع الهادىء المفكر الذى تتجلى فيه عظمة التواضع .

نشأتـه الفلسفيـة

ولد جون ديوى سنة 1859 وهى السنة التى نشر فيهـا جـارلس دارون كتابه الشهير « أصل الانواع » ذلك الكتاب الذى بسط فيـه نظريتـه فـى النشوء والارتقاء عن طريق الانتخاب الطبيعى (تنازع البقاء وبقاء الاصلح) وهى النظرية التى اثرت فى تفكير جون ديوى فيما بعد تأثيرا عميقا .

ولد جون ديوى فى مدينة برلنكتن في ولاية **فرمونت** التى تقع شمال شرقى الولايات المتحدة الاميريكية . وفرمونت هذه ولاية صغيرة تغشيها الغابـات والاشجار وكان أبوه بقالا (جربى) ومن عائلة زراعية وأمـه مثقفـة تحـب المطالعة وهى التى دفعته الى الدراسة والتثقف . فدرس فى مدارس فرمونت الابتدائية والثانوية وكان فى أوقات فراغه يبيع الجرائد ويـرقم الاخشـاب . وهكذا نشأ نشأة أمريكية نموذجية تمتاز بحب العمل والكسب الحر . ثـم درس فى جامعة فرمونت وتأثر بالاستاذ ترى Terry أستاذ الفلسفة فيها . وبعد تخرجه درس فى احدى المدارس الثانوية واتصل بالدكتور وليم هارس

الذى كان يصدر المجلة الفلسفية الوحيدة التى كانت تصدر فى أميركا آنذاك. وهو الذى شجع ديوى على درس الفلسفة كمهنة . ثم ذهب ديوى الى جامعة جون هوبكنز حيث درس الفلسفة وحصل على شهادة الدكتوراه ثم أخذ يدرس الفلسفة فى جامعة مشيغان فشيكاغو فكولمبيا .

الفلسفة فى كل زمان ومكان هى نتاج الفكر الانسانى متأثرا بما فى المجتمع من مؤثرات وبعوامل المحيط والبيئة . وجون ديوى وفلسفته خير مثال على ذلك . فهو نتاج الحضارة الامريكية الجديدة وهو الذى فلسف هذه الحضارة وعبر عنها أصدق تعبير . أما الحضارة الامريكية التى نشأ فيها جون ديوى وأثرت فيه وأثر فيها فأهم مزاياها :

1) حب المغامرة والاقتحام لاكتشاف القارة الواسعة واعمارها واستثمارها.

2) تجربة كل شيء جديد لمعرفة ما اذا كان مفيدا .

3) حب البحث العلمى الحر وتشجيع الدراسة لغرض تطبيقها على الحياة والطبيعة .

4) احترام العمل اليدوى مهما كان شاقا وتشجيع الكسب الحر والانتاج على أوسع نطاق .

5) الحرية الدينية .

6) الديمقراطية السياسية .

نشأ جون ديوى فى أمريكا يوم أخذت أميركا تصعد الى القمة فى التقدم العلمى والصناعى . وقد جاءت فلسفته معبرة عن هذا الصعود الى اللانهاية بتأكيده على كل من البحث العلمى والديمقراطية . انه أصبح ذا مركز فلسفى عالمى معترف به فى الشرق والغرب وفيلسوف أمريكا الاصيل فى النصف الاول من هذا القرن . ان الغوص فى فلسفته وتطبيقاتها على حياة الانسان وتربيته مدونة فى عشرات الكتب ومئات البحوث التى قام بنشرها هو ومئات التعليقات التى قام بها خصومه ومؤيدوه . وانى لا أطمع بتقديم صورة فلسفية كاملة وعميقة لجون ديوى . وكل ما استهدفه هو اعطاء القارىء صورة فوطوغرافية مصغرة لفكره الفلسفى وتطبيقاته على التربية والتعليم .

1) ان جون ديوى نشأ كالكثيرين من الفلاسفة على الفلسفة **المثالية** الهيغلية شأنه فى ذلك شأن كارل ماركس . ولكنه بمرور السنين تأثر

بالفلسفة العلمية التى دعا اليها فرانسيس بيكون والفلسفة الوضعية (أو الايجابية) التى دعا اليها اوغست كومت . فابتعد بمرور الزمن عن الهيغلية وانصرف الى الفلسفة العلمية والنشوئية ولا سيما بعد تأثره بنظرية «دارون». ولكنه احتفظ من الهيغلية بتراث ثمين الا وهو النظر الى الوجود كوحدة مترابطة متفاعلة . ان هذه النظرة الى الترابط والتوحيد بين قوى النفس وقوى الوجود أصبحت ميزة انسانية جوهرية لفلسفة ديوى . فجون ديوى يشجب ويرفض الازدواجية والثنائية التقليدية بين الروح والمادة ، وبين العلم والاخلاق ، وبين العلم والعمل ، وبين الفكر والعاطفة ، وبين الفرد والمجتمع ، أو تقسيم الناس الى طبقات كادحة وأخرى مترفة ، أو فصل الثقافة المهنية عن الثقافة الحرة او فصل الثقافة الفكرية عن الثقافة العملية . الى ما هنالك من ازدواجية وانشطارات شائعة فى التفكير الفلسفى القديم . انه يؤمن بمنطق واحد هو عبارة عن أسلوب بحث يطبق فى كل من حقل العلم وحقل الاخلاق معا بدون انشطار أو فصل بينهما او بين الناس .

لقد تأثر جون ديوى تأثرا عميقا من درسه لكتاب ممتع فى علم وظائف الاعضاء (الفسيولوجية) لمؤلفه العالم الانكليزى الشهير « توماس هكسلى » من معاصرى دارون والعاملين على نشر نظرية النشوء والتطور والمدافعين عنها . فقد ادرك ديوى من درسه لعلم وظائف الاعضاء ان أجزاء الجسم مرتبطة متفاعلة ولا يعمل أى جزء من الجسد السليم منفصلا عن الاجزاء الاخرى . وهذا ينطبق فى نظر جون ديوى على أجزاء الكون كلها وعلى المجتمع الانسانى. فالمجتمع الانسانى ليس عددا من الافراد منعزلين عن بعضهم يعيش الواحد الى جانب الآخر بل انهم يشكلون وحدة عضوية متفاعلة ومترابطة . فالمجتمع الانسانى هو وحدة عضوية افرادها أعضاء فى جسم متشابك وتتعاون فى أفعالها . كما ان عناصر سلوك الفرد السوى تكون موحدة ومترابطة . ولذلك نستطيع القول ان الترابط والتوحيد ورفض الانشطار والعزل هو ميزة اساسية من ميزات فلسفة ديوى . ونظرة ديوى هذه الى الترابط العضوى بين أجزاء المجتمع تتفق والعديد من التعاليم الاسلامية والاحاديث النبوية .

ان جون ديوى تأثر تأثرا عميقا بكتاب وليم جيمس فى علم النفس . لقد اشتهر جيمس بفلسفته البرغماطية . ولكن ديوى لم يتأثر من كتبه المعروفة في الفلسفة بقدر ما تأثر من كتابه فى علم النفس ذلك لان وليم جيمس نحا فى علم النفس منحى بيولوجيا حياتيا . فانه من جهة خرج على النظرة التقليدية فى الفلسفة النظرة التى تعتبر علم النفس من العلوم الذاتية التأملية التى لا

تخضع للفحص والقياس . ومن جهة أخرى أعاد النفس الى مكانتها البيولوجية فى نشوء الانسان وأهميتها فى توجيه حياة الانسان . فنظرته الى **علم النفس** هى نظرة **حياتية فعالة** وفوق ذلك كانت نظرة غنية شاملة تشمل نواحى الحياة الاخلاقية والابداعية . ولا ينجرف علم النفس فيها بالنظرة المادية الميكانية الضيقة التى تتمثل فى بعض مذاهب علم النفس الرائجة اليوم . فالنظرة الحياتية الفعالة الشاملة للنفس الانسانية كانت من أهم الاسس التى بنى ديوى فلسفته عليها . انه وجد وليام جيمس يستعمل تعابير ومفاهيم جديدة مما يعتبر تقدما كبيرا فى الفكر الحديث . فتعبير « **مجرى الوعى** » مثلا وما يدل عليه من استمرار وترابط ووحدة فى السلوك هو تقدم كبير فى التعبير اذا قيس بالحالات النفسية المجزأة والمتقطعة التى كانت تصورها بعض مدارس علم النفس . فمزية جيمس فى نظر ديوى هى أنه كان يصور الحياة . وهذه النظرة تشكل الدور الاساسى الذى يلعبه علم النفس فى حقل الفلسفة .

الفلسفة التجريبية

ان فلسفة جون ديوى سميت بالفلسفة العملية او التجريبية او الاختبارية او الالية ويمكن ان نسميها بفلسفة الخبرة . ذلك لان الخبرة فى الحياة هى الاساس لفلسفته . لقد استعار جون ديوى من الرئيس ابراهام لنكلن وصفه المشهور للديمقراطية واستعاض بالخبرة عن الديمقراطية . حين قال « ان الانسان يعيش فى الخبرة وبالخبرة وللخبرة » . ان الحياة فى نظر ديوى عبارة عن سلسلة مترابطة متفاعلة من الخبرات . والخبرة هذه تحصل من تفاعل الانسان بكليته مع محيطه الاجتماعى والطبيعى فيؤثر ويتأثر وينمو أو يذبل . فالانسان يعمل على تغيير محيطه وتحسينه على ضوء الخبرات المتلاحقة التى يقوم بها . والخبرة الجيدة هى التى تؤدى الى خبرات لاحقة مسرة ومثمرة للفرد والمجموع . والخبرة السيئة هى التى لا تؤدى الى استمرار فى النمو ولا الى خبرات لاحقة مسرة . فالانسان اذا جرب نوعا من الطعام ووجد أنه يغذيه وينعشه فتلك خبرة جيدة لانه يؤدى الى خبرات مسرة لاحقة ما اذا تناول مخدرا أو مسكرا فان ذلك يؤدى الى نحوله الجسمى واختلاله العقلى فالخبرة تكون سيئة لانها لا تؤدى الى خير الفرد وخير المجتمع .

هذا وللخبرة عند ديوى معياران . أولهما زمنى استمرارى وهو ما عبر عنه « بالاستمرار التجريبى » فالخبرة الجيدة تؤدى الى استمرار فى الخبرات

الجيدة المتتالية . فدرس جيد ممتع يدفع الطالب الى ملاحقة الموضوع والتوغل فيه . فتستمر الخبرة وينمو الطالب فى المعرفة بعكس درس ممل ومرهق فانه قد ينهى علاقة الطالب به فيهرب منه ولا يعود اليه .

أما المعيار الثانى للخبرة فهو التفاعل بين ما فى داخل الفرد من عوامل نفسية وبين الظروف الموضوعية التى يعيش فيها الفرد . فالتفاعل الحر بين الداخل والخارج هو من طبيعة الاختبار الجيد . اما ان يفرض الاختبار من الخارج أو من فوق فرضا على الفرد فيجعل تلك الخبرة أمرا مكروها وقد يكون ضارا .

فالخبرة الجيدة هى الخبرة التى تؤدى الى **النمو** المستمر والازدهار . **النمو** فى الحياة المادية والمعنوية معا . والخبرة الضارة توقف **النمو** وقد توقع الانسان فى المهالك . اذن **فالنمو** هو نتيجة طبيعية للخبرة **الجيدة** .

والخبرة هى التى تعين لنا الهدف فى الحياة على رأى جون ديوى . فعلى ضوء الخبرة نقرر ما هى الخطوة التالية التى سنخطوها وما هو الهدف الذى نختاره . فالخبرة تدلنا على ان هناك ارتباطا وثيقا بين الغاية (اى الهدف) وبين الوسيلة . فما هو غاية اليوم يصبح وسيلة غدا لغاية أخرى وذلك بعد ان يتحقق . بناء مسكن قد يكون غاية لك فى الوقت الحاضر ولكن بعد ان يتم البناء يصبح المسكن وسيلة لغايات أخرى كالزواج وانجاب الاطفال . والزواج وانجاب الاطفال يصبحان غاية ومتى تحققا فقد يصبحان وسيلة لتقوية الامة وتزويدها بالمواطنين الصالحين وبالعلماء العاملين وهلم جرا . وعليه وجب أن تكون الغايات والوسائل كلها جيدة . فلا يجوز التوسل بوسائل دنيئة باسم الاهداف السامية اى ان **الغاية لا تبرر الواسطة** . اذ كل واسطة هى غاية حتى تتحقق . ومتى تحققت تصبح وسيلة . فالاخلاق وحب الخير مضمونان بتزويد الخبرة الجيدة للمواطنين .

هذا وان جون ديوى يؤكد على الاهتمام بخبرات الانسان التى يعيشها فى حياته الحاضرة ذلك لان الماضى قد انقضى وهو يهمنا بقدر ما هو مرتبط بحاضرنا ومؤثر فيه . ولذلك فالماضى انما يراد كوسيلة لخير الحاضر وخدمته . وليس كغاية فى حد ذاته . فالحاضر الجيد يحمل فى ثناياه ما هو جيد من الماضى . اما الذين يعيشون فى الماضى ويهملون حاضرهم فانهم

سائرون الى الزوال لا محالة . اما خبرات المستقبل فهى ناتجة وناشئة من خبرات الحاضر ايضا . فان كان الحاضر خيرا فيجب ان يؤدى الى مستقبل خير . وان كان يحمل فى ثناياه الضعف والوهن فالمستقبل وخيم . اذن فلأجل المستقبل تجب العناية بالحاضر . **الحاضر** هو نقطة التقاء الماضى بالمستقبل فى « مجرى حياتى » دائم الحركة ودائم التطور . أرجو الا يفهم من هذا ان جون ديوى يؤيد قول الشاعر العربى :

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

ففى هذا البيت شىء من الدعوة الى التسيب والتحلل فى الحياة وهو ما لا يقبله جون ديوى بحال من الاحوال . فجون ديوى يعنى بكل من الماضى والمستقبل ويوحد ويربط بينهما وبين الحاضر . فما تزرعه اليوم تحصده غدا واذا كان الاباء قد اكلوا الحصرم فان الابناء تضرس أسنانهم كما يقول المثل المعروف فى التوراة . على ان الاهتمام ينبغى ان ينصب على تحسين الحاضر الى أقصى حدود الامكان وذلك لكى نضمن مستقبلا أفضل .

هذا وان اعظم اداة يستخدمها الانسان فى اختباراته هو **الفكر** . فالانسان بتفكيره استطاع ان يوجد المدنيات وان يبنى ويزدهر . والتفكير **المعن** هو المطلوب فى حل المعضلات . وهو ما حمل الانسان على الاخذ بالعلم وبالطريقة العلمية : طريقة التجربة والاختبار المقترنة بالتفكير المعن . اذ بها استطاع الانسان ان يبنى صرحا شامخا من الحضارة الانسانية وفى وسعه ان يجدد بناء هذا **الصرح** باستمرار .

فالطريقة العلمية التى تعالج الامور بالدقة التامة وبالتجرد والتى تجعل من الاختبار والتجربة دليلا لها هى نتيجة استخدام الفكر الانسانى كأداة فعالة فى الحياة . اذن فما على الفلسفة الا ان تتبنى هذه الطريقة وتفلسفها لا ان تبقى قابعة فى الابراج العاجية . ان العلم اليقينى هو ثمرة الطريقة العلمية ويتسع وينمو باتساع ونمو اختبارات الانسان . فما على الفيلسوف الا ان ينظم ويوجه ثمرات العلوم وعليه ان يعتمد طريقة التفكير المعن ويحلل ديوى التفكير المعن فى الخطوات التالية :

1) **موقف** يجابهه الانسان يهمه ويحرك أولاعه واهتماماته .

2) **مشكلة** يثيرها هذا الموقف الجديد يريد الانسان التغلب عليها للوصول الى تحقيق ما يهمه وما هو مولع به .

3) جمع **المعطيات** التى تساعد على حل المشكلة وهاته تتطلب الدرس والبحث والسؤال .

4) تكوين **فرضية** اى حل مقترح وهذه فكرة تخطر على بال الانسان قد يؤدى تنفيذها الى الوصول الى الهدف .

5) فحص **الفرضية** : بتجربتها وتطبيقها فان نجحت فبها والا فلا بد من اعادة النظر فى المعطيات والبحث عن فرضية جديدة .

ان هذه الخطوات فى التفكير الممعن الذى يصحب الخبرة الجيدة المؤسسة على المشاهدة والفعالية والتجربة هى ما تكون الطريقة العلمية . وهى تتطلب ضبط الاعصاب والصبر والدقة المتناهية الى درجة الصفر فى الخطأ Zero Error وهو الامر الذى استهدفه مخططو الهبوط على سطح القمر .

اذن ففلسفة جون ديوى فلسفة نشأت من العلم وتعتمد العلم وطريقة البحث كأساس يبعث على اليقين . ولكن الخبرة فى حقل العلم واستعمال **الطريقة العلمية** تصحبها خبرة اجتماعية على أسس ديمقراطية . **فالديمقراطية هى الهدف الاسمى** فى فلسفة جون ديوى . وهى هدف يعتبر الانسان **لا كمجرد فرد عددى لا قيمة له** بل يعتبره كشخصية لها معناها فى **الوجود ولها قيمة لا تحد** فالديموقراطية تحترم الانسان الفرد من حيث هو انسان **بقطع النظر عن جنسه وعرقه ودينه وثروته** . فلكل انسان مكانته المحترمة فى الوجود . والمجتمع الديمقراطى هو ذلك المجتمع الذى يكون كيانا عضويا واحدا وليس عبارة عن مجموعة أفراد منفصلين عن بعضهم منعزلين . لكل فرد فى الديمقراطية ارادته . ولكل فرد امكاناته الروحية والفكرية والابداعية التى لا تحد. فالديموقراطية تختلف عن الديكتاتورية اختلافا جوهريا من حيث تقييمها للانسان الفرد فالانسان الفرد فى الديكتاتورية لا ارادة له ولا شخصية . فالذين يسيرون الحكم هم أفراد قلائل والمجتمع لا يستفيد من آراء اكثرية ابنائه . أما المجتمع الديمقراطى كما يريده جون ديوى فهو مجتمع

1) يشترك اعضاؤه جميعا فى اختيار الهدف القومى اختيارا حرا وذلك بعد التفكير الممعن على ضوء الدرس والاختبار .

2) يساهم كل حسب اختصاصه فى تنفيذ الهدف وفق الخطط التى يتفق عليها .

3) يساهمون فى الخيرات أو المضرات التى تنجم عن تنفيذ الهدف .

فالمجتمع الديمقراطي هو مجتمع اشتراكي بكل ما فى الكلمة من معنى لفظى . انه مجتمع يؤمن **بالمساهمة والمشاركة** . انه مجتمع يحترم كل فرد فيه ويعترف بحقه ويحترم شخصيته ويحمله قسطه من المسؤولية . انه مجتمع تضمن فيه انسانية الانسان قبل كل شيء . وهذه الانسانية تشمل الحرية والعدالة والاخاء بين أفراده . والحرية والعدالة والاخاء هي الاسس الاخلاقية للمجتمع الديمقراطي حسب ما يرى جون ديوى . هذا ولا بد من الايضاح بأن جون ديوى ينظر الى المجتمع الديمقراطي وكأنه **كائن عضوى واحد** تترابط وتتفاعل كل عناصره وتنفذ هدفا واحدا . فهو مجتمع يعبيء مواهب كل أفراده ويكون أعظم قوة بشرية يمكن ان تصدر عن أية جماعة من الجماعات.

اذن فالديمقراطية **كهدف اسمى لنمو شخصية الانسان وما تتضمنه من قيم أخلاقية** كالحرية والعدالة والاخاء بين البشر هي ما تكسب خبرات الانسان قيمها الروحية والانسانية وهي الحجر الاساسي لفلسفة جون ديوى الاجتماعية .

التربية والفلسفة :

بعد ان نضج تفكيره الفلسفي واتضحت معالمه شعر ديوى بان نظريات التربية وممارستها يجب أن تكون أهم ما يشغل بال الفيلسوف . فبالتربية ولا سيما تربية الاطفال يمكن الوصول الى أى هدف فلسفي ذى تأثير على حياة الانسان . فالفلسفة اية فلسفة يجب ان تكون نظرية تربوية . والفيلسوف يجب أن يعنى بمشاكل التربية قبل كل شيء . وهذا ما جعل جون ديوى يعتبر فلسفة التربية هي الفلسفة الحقيقية بمعناها الصحيح الشامل . وهو يعتبر كتابه «الديمقراطية والتربية» الذى نشره سنة 1916 أشمل تعبير عن فلسفته. وهو يستغرب كثيرا لماذا أهمل معظم الفلاسفة أمر التربية والتعليم ولم يجعلوها أساسا لفلسفتهم . كما أنهم أى الفلاسفة لم يعنوا بفلسفة ديوى التربوية فى بادىء الامر . لذلك يمكن اعتبار ديوى بحق « **فيلسوف التربية** » أو المربى « الفيلسوف » .

لقد سبق ان اقترحت ان يعتبر جان جاك روسو أبا للتربية **الحديثة فهو** واضع بذرتها . وأن يعتبر المربى السويسرى العظيم بستالتسى **أما لها** باعتباره تلقف آراء روسو ووضعها موضع التنفيذ مع عاطفة الحب العميقة . أما جون ديوى فهو الذى **رعى** التربية الحديثة **ورباها فهو** مربى التربية الحديثة. فهو قد رعى نشوءها وازدهارها وقوم ما استطاع من اعوجاج سلوكها

واتجاهاتها . فاذا صورنا التربية الحديثة **كطفل** له أب وأم ومرب . يصبح الاب روسو والام بستالتسي والمربي جون ديوي .

أسس جون ديوى حين كان أستاذا للفلسفة والتربية فى جامعة شيكاغو من سنة 1894 ــ 1904 مع زوجته مدرسة دعاها « مدرسة المختبر » حاول ان يطبق فيها نظرياته التربوية المؤسسة على الخبرة والحياة وصف اختباراته فيها فى كتابه « المدرسة والمجتمع » . وهو كتاب صغير الحجم جليل الفائدة . فوجد ان يبدأ بالاثاث المدرسى الذى لم يوضع على اساس حرية الطفل وحقه بالحركة والفعالية بل انه يقيد الطفل ويمنعه من الحركة . فذهب الى النجار واوصى بصنع أثاث جديد يسمح للطفل بالحركة وبالعمل لا بالجلوس فى مقاعد ثابتة بعسر الدخول والخروج منها . أما آراؤه التربوية وأساليبه فانها تتلخص فيما يلى :

التربية هى الحياة أى هى سلسلة خبرات حياتية يعيشها الطفل فى المحيط وفى المجتمع فينمو نموا مطردا . وهذه الخبرات تحوى نقطة البداية لكل المواد الدراسية :

فالطفل (كل طفل سوى) يحب ان يتصل اجتماعيا بالغير كما انه يريد ان يجلب انتباه الراشدين اليه وهذا يحمله على **استعمال اللغة** التى تكتسب معانى محددة واللغة تنمو وتزداد ثروة كلما نما الاختبار .

والطفل (كل طفل سوى) يريد ان يعمل ، يريد ان يبنى ، يريد ان يقوم بأفعال هى من النوع المفيد اجتماعيا . انه قد يبدأ بالتقليد وباللعب وبالخيال ولكنه سرعان ما يتحول ما يفعله الى واقع فيصير يساهم فى فعاليات بيتية مفيدة .

والطفل (كل طفل سوى) يريد ان يعرف أسماء الاشياء وعلاقاتها فيبدأ بالسؤال عن هذا الشيء وذاك ومن أين جاء هذا ؟ ومن عمل هذا ؟ وكيف نصنع هذا ؟

والطفل (كل طفل سوى) يحب ان يكون له أصدقاء ، ويريد العمل واللعب معهم .

والطفل (كل طفل سوى) يحب ان يرسم ويصور ويحب ان يعبر عن خياله بالالوان ويحب ان يتمتع بالجمال . كما يحب ان يجمل ويزين ما يعمله عادة .

اذن فحب الاتصال الاجتماعى وحب الاستطلاع والمعرفة وحب البناء والعمل

وحب اللعب وحب الجمال هي منابع حقيقية في نفس الطفل . وهي رأس مال لاية تربية تبنى على الخبرة . فاذا جعلنا هذه القوى المتدفقة من الطفل تتفاعل مع المحيط المباشر للطفل وجدنا الطفل يتعلم اللغة ويتعلم أسماء الاشياء وفوائدها ويتعرف على المحيط المباشر جغرافيا وتاريخيا كما يتعلم العمل والبناء وما يرافقهما من حساب وقياس .

هل شاهدت طفلا يصنع « علبة » من الخشب ؟ انه يسعى للحصول على الخشب ويقيس قطع الخشب وقد يحتاج الى « منشار » لقص القطع الخشبية لتوافق القياس المطلوب . ثم يسعى للحصول على المطرقة والمسامير . وهل يستطيع القيام بكل ذلك بدون ان يساعده الراشدون او الاطفال الاخرون في بادىء الامر ؟ ان ثمرة خبرة كهذه تشمل استعمال اليدين وتمرين العضلات والدقة في القياس والمثابرة والاستمرار على العمل والتعاون مع الغير . لا شك في ان انجاز صنع علبة هذا قد يؤدى الى صنع شيء آخر مفيد .

هل شاهدت بنتا تقوم باعداد غذاء بسيط كقلي البيض . فمن هذا الطريق قد تتعرف على أنواع الاغذية وخصائصها : الاغذية النشوية (كالخبز) والدهنية (كالزبد) والمعدنية (كالخضروات) والزلالية (كاللحم والبيض). كما تتعرف على مزايا البيض وجموده بالحرارة المتزايدة . ان الاختبارات التي يقوم بها الاطفال في اعداد الطعام تساعد الاطفال على ادراك أهمية الغذاء الصحي وتكوينه . والتربية العملية هذه قد تؤدى الى تربية صحية في الوقت ذاته .

هل شاهدت أطفالا يقومون بغرس نباتات في بقعة أرض صغيرة او في محبس (سندان) ؟ انهم يقومون باعداد التربة وغرس البذرة وسقيها ومراقبة نموها وحمايتها من غزو الطيور والحشرات . لا شك في أنهم يحصلون على خبرات غنية .

هل شاهدت أطفالا يدرسون ما يقوم به الشرطي او الحرس الوطني من اعمال انسانية قد تؤدى بهم الى المساهمة في تسهيل مهام الشرطي والتعاون معه ؟

هل شاهدت أطفالا يتعرفون على « بلدية » المدينة وما تقوم به من أعمال صحية وخدمات اجتماعية كما يتعرفون نظام الانتخابات .

خذ الاطفال الى المتحف واجعلهم يتعرفون على أهم الآثار التى تخص ماضى بلادهم .

احملهم على تنظيم تعاضدية فى المدرسة يبيع الاطفال فيها مأكولات ومشروبات صحية وحاجات مدرسية أو لعب الى غير ذلك . واستثمر هذه الخبرة فى دروس الحسابيات والاشياء والجغرافية والتربية المدنية .

أجعل الاطفال يرتلون الاناشيد والاغانى واجعلهم ينظمون رحلات مدرسية الى الطبيعة والحقول وان يعيشوا عيشة الكشاف . اذ بذلك يتعرفون على جمال بلادهم وتتسع آفاق معرفتهم وتنمو مداركهم .

ان الخبرات فى المحيط لا تحد ولا تعد. فلكل مدرسة محيطها. ولكل جماعة من الاطفال مسائلهم ونشاطهم . ولا يمكن ان يكون المنهج واحدا لمدرستين ما دامت الجماعات متعددة ومصادر الخبرة تختلف من بلد الى آخر ومن محلة الى اخرى. فخبرات أطفال الريف تختلف عن خبرات أبناء الاحياء الغنية . على المربى ان يدرس حالة كل طفل وسابق خبراته ليكيف ويهيىء الخبرات الجديدة وفق احتياجات الاطفال . فبعض المناطق تحتاج الى التأكيد على الصحة والنظافة وبعضها تحتاج الى التأكيد على الصناعة فى المعامل او الصناعات التقليدية التعاونية . والمهم هو ان ترتبط التربية بنواحى حياة الانسان كلها فتوجه وتنمى ميوله وقابلياته. كما يؤمل ان تعوض المدرسة عما تجده من نقص في حياة الطفل وخبراته . ان ارتباط منهج الدراسة بحياة الطفل واحتياجاته هو الميزة الاساسية للتربية الحديثة . فهى بذلك تختلف اختلافا جوهريا عن التربية التقليدية التى فيها يفرض منهج الدراسة الواحد على كل طفل بقطع النظر عن احتياجاته وميوله . فالمنهج فى التربية الحديثة ينبع من ميول الطفل ويتصل بالمحيط بينما المنهج فى المدرسة التقليدية هو منهج يضعه الراشدون حسبما يعتقدونه يناسب الطفل واحتياجاته فى المستقبل . اى انه اعداد لمستقبل قد لا يتحقق . ثم ان المنهج الحديث يتصل بمواضيع الحياة كوحدات ذات ارتباط كالقيام بطبخ غداء . بينما المنهج التقليدى منسق تنسيقا تطبيقيا بعيدا عن نفسية الطفل ومقطعا الى أجزاء لا حياة فيها . فالطفل فى التربية التقليدية يتلقى الدرس اما بالمكافآت والمرغبات الخارجية المصطنعة واما بالاكراه . اذن فالثورة فى التربية الحديثة هى ثورة حقيقية على الاوضاع التقليدية وكان لجون ديوى الفضل الاول فى احداث هذه الثورة فى العالم فى النصف الاول من هذا القرن .

هذا وان جون ديوى يقدم الآراء التالية لكل الذين يعنيهم أمر التربية ووضع المناهج :

1) ان النظريات العلمية ليست قطعية أو نهائية . فهى دائما عرضة للتطور مع نمو العلم وظهور حقائق جديدة فهى فرضيات على الاكثر .

2) ان الاكتشافات والبحوث العلمية اصبحت من الوفرة والاتساع بدرجة يستحيل معها على الفرد الواحد فى حياته القصيرة ان يلم بها . فالمهم فى التربية العلمية ليس حشو الدماغ بالمعلومات بل تعويد الطالب على الاسلوب العلمي وطريقة البحث والتحرى بحيث ينمى معلوماته طوال حياته ويتعلم كيف يستعين بالمراجع العلمية .

3) ان مسألة النمو العلمى هى عملية اجتماعية تعاونية . ولذلك وجب تنشئة الجيل الصاعد على اسلوب التعاون الاجتماعي .

4) ان التفريق بين العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية خطأ فاحش وله جذور اجتماعية بالية . فالعلوم الطبيعية هى علوم انسانية اذا استخدمت لخير الانسان كما ان العلوم الانسانية يجب ان تخضع للطريقة العلمية التى هى طريقة العلوم الطبيعية .

5) ان عملية التربية هى عملية مستمرة مع الحياة ولا تنتهى بانتهاء الحياة المدرسية . اى أن ديوى يؤكد الحديث المعروف « اطلب العلم من المهد الى اللحد » .

« الولـع » أو « الاهتمام » والتربية :

يعنى جون ديوى عناية فائقة بولع الاطفال بالخبرات وبالاعمال التى يقومون بها . والولع بالشيء هو القوة التى تربط الانسان بذلك الشيء فيستمر فى السعى وراءه حتى يظفر بتحقيق امنيته . والاهتمام بالاولاع الاجتماعية المفيدة التى توجه الاطفال نحو الخبرات الجيدة هو رأس مال تستثمره التربية الحديثة . فالولع المفيد يصبح من المنابع الرئيسية فى اختيار مادة الدرس وطريقة التدريس وهو خير وسيلة لتنمية الروح الايجابية فى الضبط والتثقيف . أما التربية التقليدية فانها قلما عنيت بأولاع الاطفال .

فباسم التثقيف والضبط Discipline يساق الطفل الى حفظ ما لا يرغب فيه أو ما لا يفهمه . حتى ان أحد الفكاهيين وصف المدرسة التقليديـة بقولـه ان شعارها « **لا يهمك ماذا يتعلم الصبي مـا دام الصبي يكره مـا تعلمه ايـاه** » . ان جون ديوى لا يفصل بين مادة التدريس وطريقته . فالمادة والطريقة فى عرفه وحدة لا تتجزأ فما يجب أن يحصل عليه الطفل هو الطريقة التى تؤدى الى اختبارات جديدة جيدة . والاختبار الجيد يتضمن **الولـع والفعـالية الـذاتية والتفكير المعن** . فالمدرس الجيد ذو الطريقة الفعالة هو الذى يهيىء الظروف لحصول الخبرة التى **تثير الفعالية** وذلك بتحريك أولاع الطلاب . ويعنى خاصة بالفعالية التى تتطلب التفكير المعن .

هذا وان ديوى يعترف بان فلسفته التربوية على بساطتها صعبة التطبيق . فهى تتطلب نوعا جديدا من **المربين** لهم سعة اطلاع على الحياة والمحيط الـذى يعيش فيه الطفل وخبرة عملية فى توجيه الاطفال وارشادهـم الـى الافعـال والمشاريع المفيدة التى تنمى أولاعهم وتثرى خبراتهم . ومن **الخطا الفادح أن** نظن ان التربية الحديثة تترك الطفل وشأنه يعبث بأوقاته **ومحيطه . فالعكس هو الصحيح** . والفرق الجوهرى بين التربية الحديثة والتربية التقليدية **هو أن** الطفل فى التربية الحديثة يساهم بكليته مساهمة فعالة فيما **يدرسه ويتعلمه.** بينما هو فى التربية التقليدية مساق من الخارج وبدون عناية **بما فى داخله** من ميول واتجاهات وقوى حية .

ان جون ديوى يشجب الفلسفات التى تعتبر الطفل وعاء يملأ من الخارج وتنفى كل فعالية داخلية مؤثرة فى الطفل . فهذه الفلسفات تنسب كل شىء للمحيط وتنفى الفعالية الباطنية للطفل . كما انه يشجب الفلسفات التى تعتبر التربية عملية تفتح من الداخل فقط بقطع النظر عـن العوامـل المحيطيـة . والحقيقة ان الخبرة التى تستند اليها فلسفة ديوى هى تفاعل بيـن الداخـل والخارج أى بين القابليات والمواهب الفطرية والاحتياجات والظروف المحيطة.

الديمقراطية فى التربية الحديثـة :

ان الديمقراطية التى يعتبرها جون ديوى الهدف الاسمى للمجتمع الانسانى تتضمن الاجراءات التربوية التالية :

١) ضمان المساواة فى الفرص التعليمية لابناء الشعب جميعا بدون تفريق بين ابن الريف وابن الحضر او ابن الغنى وابن الفقير ولا تفريق على أساس

المذهب الدينى أو العنصر أو اللون أو الجنس . فالتربية تنمى مواهب الجميع الى اقصى الحدود لمصلحة الجميع .

2) ان المعلم فى المدرسة الحديثة يعامل الطلاب كأفراد أسرة واحدة متعاونة فلا ديكتاتورية ولا محاباة . ان دور المعلم هو دور عضو العائلة الرئيسى الذى يقود الجماعة قيادة ديمقراطية حكيمة .

3) ان الحكم الذاتى والتنظيم الذاتى الذى هو اساس النظام الديمقراطى موجود فى طبيعة الاطفال . فان الاطفال فى اللعب يقبلون حكم أحدهم عادة . واذا استبد هذا أو أساء التصرف فانهم يحتجون على تصرفاته وينبذونه .

ان التربية الحديثة تسعى لتنظيم ضبط ذاتى على أسس ديمقراطية بين الطلاب بخلاف المدرسة التقليدية التى تقيد حريات الطلاب . وتحجر حركاتهم. فهم يخافون السلطة ويرغبون فى التحرر منها .

4) ان الحرية فى المدرسة الحديثة هى وسيلة لمعرفة طبيعة الطلاب ومعرفة ميولهم وأخلاقهم . فالمدرسة الحديثة تربى على الصراحة والتعاون بخلاف المدرسة التقليدية التى قد تولد الرياء والمحاباة بسبب ما فيها من ضغط على الطلاب وكبت لميولهم .

5) ليس صحيحا من ان التربية الحديثة لا تهتم بآداب الطلاب الاجتماعية وحسن تصرفهم . انها تعترف بأهمية ذلك كل الاعتراف ولكنها لا تشجع الرياء والتصنع فى المجاملات كما تشجب لبس المظاهر التى لا تعبر عن الاخلاص الداخلى للفرد .

7) ان التربية الحديثة تشجع النشاط الطلابى على أساس ديمقراطى كما أنها تشجع التعاونيات وتشجع الحكم الذاتى بين الطلاب كما تشجع الاعتماد على شرف الطالب .

وصفوة القول فان جون ديوى يرى ان الديمقراطية تمثل فلسفة التربية الصحيحة الشاملة . فهى تمثل الهدف والاسلوب او الغاية والوسيلة معا . اذن فعلى المعلم ان يربى الجيل الجديد بالاسلوب الديمقراطى وان يسعى لتحقيق الاهداف الديمقراطية فى الحياة وفى المجتمع .

حاجة العالم الى فلسفة جون ديوى اليوم

هناك ثورات طلابية فى معظم انحاء العالم اليوم وهناك تفكير تربوى عميق هنا وهناك . ولو بحثنا عن العوامل المؤدية الى حالة القلق والفوضى السائدة فى العالم اليوم لوجدنا انها ناجمة عن :

1) الانشطارات الاجتماعية وفقدان الوحدة العضوية فى المجتمعات قديمها وحديثها . فهناك انشطارات وانقسامات بين الافراد والشعوب انشطار يؤدى الى الصراع بين الاسود والابيض وبين الغنى والفقير وبين القوى والضعيف وبين الامم المتصنعة والامم المتخلفة وبين أبناء دين ودين آخر وبين العمال وأصحاب المعامل وبين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب . ان فلسفة ديوى تدعو الى وحدة عضوية وترابط اخوى بين بنى الانسان تقضى على هذه الانشطارات .

2) ان المنظمات الانسانية بما فيها الحكومات والشركات والمنظمات الاجتماعية والاقتصادية لم تؤسس على الاخلاق الديمقراطية . فالحرية المسؤولة والعدالة الاجتماعية والاخوة مفقودة فى الكثير من الحالات . والبشرية تحتاج الى حرية وعدالة واخوة اذ بدونها لا يستتب نظام ولا استقرار فى المجتمع . ان فلسفة جون ديوى هى العلاج الناجع للانسان .

3) ان التطورات فى العلم والاختراع وما يرافقهما من تفكير جديد تسير بسرعة فائقة . أما التطورات فى الحياة الاخلاقية والاجتماعية فانها بطيئة نسبيا . ولذلك عمدت بعض شعوب العالم الى ثورات دموية باسم ثورات اجتماعية . ولكن هذه الثورات الدموية ترافقها نظم ديكتاتورية كما ترافقها خسارة جسيمة فى الارواح والاموال فضلا عما تقاسيه الشعوب من فقدان للامن والاستقرار وما تعانيه من فوضى فى القيم واضطراب فى الحياة العامة . ان ثورات كهذه هى من النوع الهدام المنافى للروح الديمقراطية وما تنطوى عليه من انسانية . وما يقال عن الحكومات الثورية يقال عن الطلاب الثوريين فى العديد من جامعات اليوم . فهؤلاء الطلاب قد يجدون ان التطور المطلوب فى الجامعة او المجتمع بطيء او عسير المنال فيعمدون الى أساليب الفوضى والعنف الامر الذى ينسف الديمقراطية والتربية الصحيحة من الاساس . فأسلوب الثورة البناء هو أسلوب ديمقراطى وسلاح الثورة هو التربية والتعليم (والتوعية) . هذا ما يحتاج اليه العالم اليوم وهذا ما دعا اليه جون ديوى .

4) ان معظم البلاد النامية تستطيع النهوض السريع فيما لو أخذت بفلسفة جون ديوى الفعالة فى تطبيق المنهج الدراسى على الحياة وجعله عمليا نظريا فى الوقت نفسه . أما البلاد المتقدمة فلا بد لها من اعـادة نظـر أساسيـة فـى مناهجها واساليبها وتطويرها لتصبح أكثر ارتباطا واتصالا بالحياة الاجتماعية والاقتصادية وذلك بقبول مبدأ مشاركة الطلاب فى الحياة الدراسية مشاركة فعالة وتوجيههم نحو الحياة الحرة وهو ما يدعو اليه جون ديوى . وصفوة القول ان العالم كله يحتاج الى فلسفة جون ديوى التربوية وجعلها ديمقراطية وعملية أكثر من أى وقت مضى . وفى رأينا ان اهم المشاكل الانسانية اليوم ناجمة عن عدم أخذ معظم ساسة العالم اليوم بآراء جون ديوى وعدم تطبيقها .

وليست هذه المشاكل ناجمة عن الاخذ بآراء جون ديوى التقدمية كما يدعى الرجعيـون .

ان الشرق العربى مثلا بدأ يتعرف على آراء جون ديوى منذ أربعين سنـة تقريبا وقد ترجم من كتبه الى العربية اربعة عشر كتابا على ما أعلم . ولكـن حكومات تلك البلاد لم تتأثر تأثرا يذكر من فلسفة جون ديوى العملية والعلمية والديمقراطية . وان القوى المسيطرة على التعليم فى الشرق العربى ما تزال متأثرة بالمنهج التربوى التقليدى على الاكثر . ومستوى المعلمين عامة ما يزال دون المستوى المطلوب . وفى الحقيقة ان الواقع العربى فى واد وفلسفة جون ديوى فى واد . وهذه ثنائية بل انشطار يشجبه ديوى حتما . فعسى ان نتيقظ جميعا فندرس فلسفة ديوى لا لغرض الدرس فحسب بل للدرس والتطبيـق معا . وفى اعتقادى ان تونس هى البلد العربى الذى تتجسد فيه الى حد ما ما يعنيه جون ديوى فى فلسفته الاجتماعية الديمقراطية . **فالدولة التونسية دولة مثقفة (بكسر القاف) تحاول توعية أفراد الشعب وتنشئتهم على أسس ديمقراطية ومشاركتهم فى الحياة مشاركة فعالة بالتنوير والاقناع وليـس بالسوط والسوق . وهذا هو الاسلوب الصحيح فى البناء الديمقراطى وهو ما يدعو اليه جون ديوى . وها ان تونس بدأت تعمل جديا بالاخذ بالناحية العملية الحياتية للمنهج التربوى وربطه بحاجات النمو الانسانى وهو ما نـرجـو أن تحققه فى أقرب الآجال .**

الفلسفـة والديـن

بعد ان درست فلسفة جون ديوى أجدنى متفقا معه فى كل آرائه وتفكيره التربوى والاجتماعى . فانى أؤمن بقيمة الخبرة الجيدة فى الحياة كما أؤمن

بالطريقة العملية . كما انى أعتنق فلسفة ديوى الديمقراطية تلك الفلسفة التى تدعو الى الحرية والعدالة والاخوة لكل بنى الانسان . ولكنى أذهب الى أبعد مما ذهب اليه ديوى فى تفكيره الدينى .

هذا ومن الانصاف القول ان جون ديوى يعطى الخبرة الدينية مكانها السامى فى الحياة وفى التربية . فانه يؤكد فى كتابه « الايمان العام » «The Common Faith» على أهمية التدين للانسان كما أنه يؤكد على الاسس الاخلاقية للحياة الديمقراطية فى العديد من كتاباته . ولكنه فى كتاباته الاخيرة لا يؤكد بوضوح ايمانه بالله خالق الكون ومسيره كما كان يفعل فى كتاباته فى المراحل الاولى من حياته الفلسفية .

يظهر لنا ان مشكلة الانسان اليوم هى مشكلة أخلاقية قبل كل شىء . فلو توفرت الحياة الاخلاقية الفاضلة بين الافراد والشعوب لما رأينا الثورات الدموية والحروب تنتشر فى الكثير من أنحاء العالم اليوم . ولكن الاخلاق لا تقوى ولا تزدهر فى الحياة الاجتماعية ما لم تسق من ينبوع الايمان بالله خالق الكون وواهب النعم . ان هذا الايمان وهو ما يزود البناء الفلسفى الشامخ الذى خططه جون ديوى بالاساس الراسخ المتين .

ان تفكيرى الشخصى الذى يتضمن كل ما جاء به جون ديوى يمكن تلخيصه على الوجه التالى : اذا شئنا الحياة السعيدة الهانئة المطمئنة علينا بأن نتعهد بما يلى :

أ) ان نأخذ بالاسلوب الديمقراطى الشامل فى كل نواحى حياتنا .

ب) ولاجل ضمان نجاح الاسلوب الديمقراطى لا بد من اخلاق فردية واجتماعية تبنى على النزاهة والمحبة وطهارة النفس والغيرية بين الناس .

ج) ولاجل غرس هذه الاخلاق لا بد من سقيها من ينبوع الايمان بالله خالق الكون ومسيره والعمل بمقتضى سننه الكونية .

فلنرجع أولا وآخرا الى الله والى الايمان به ايمانا صادقا مطلقا . فهو دليلنا الى كل الخبرات الصالحة . وهو مصدر العلم والقوى الخلاقة . وهو الواهب لاسمى القيم الانسانية .

د. محمد فاضل الجمالي
الجامعة التونسية

وسأبقى واحدا في الحالتين

شعر : يوسف رزوقه

إننى ما زلت وجها بدويا
أحمل الشامة عرض الناظرين
ودمى ظل مناخا قرويا
وسيبقى واحدا فى الحالتين

* * *

عاد بى عشقى الى القرية والحلم البعيد
كان فى القرية جرح ينتهى بى حيث كان
زمن غير الذى أحياه فى موتى الجديد

* * *

ألتقى فى لحظات الانشراح

بأبى يفحج فى مشيته من فدع لازمه ، انه مفتوق ولن يبرأ ما دام قـديم الفتق ، لكنه رغم الزمن الهارب من عينيه ما زال يدق الارض بالبلغة لا يلوى على نصح ولا يعرف للنوم سبيلا

* * *

أسمع الآن أخى الازغب يبكى عاليا ،، يفحم من فـرط البكـاء
وأرى أمى بملء الذعر تجرى

تترك القبقات فى الفدان والفوطة ملقاة على كدس من الحُرشوف ،، تلقاه جفافا ، أزرق الوجه ، فتستله من أسفل صنـدوق السلحفاة وتحييـه بمصاصة كمون وتعفيه مع اليقظة من ضغط القماطه ...

* * *

هذه أمى التى أحملها فى كل دربى

تفرت الكرش وأختى بالرضى التام

تقص البصل الخام

فيبكيها وقد يأتى أخى من خلفها كى يسرق المنديــل منهــا ، ومتى عن له يفرغ فى فستانها الحلو مخاطه ..

إنها سمراء كالخروب تهتم كثيرا بأغانى « ألف مبروك » وتمتاز على أمى بطبخ الحلزون ..

وهى ما انفكت تثير الدهشة الزرقاء فى فن الخياطه ..

* * *

انتهى نزفى مع القرية والآن أنا أزرع مخى فى الضجيج

هذه طالبة مائعة تخزر لى من وجهة القلب وإنــى قــرم جــدا ومشتاق الى نهدين من نوع رفيع لهما لون الشفق /

انها غارقة حتى اندلاع الرعب فى بحر الشبق /

وأبى يعرفنى فحلا ولا يخشى على ..

فهو قد حملنى منذ صباى

دمه الأحمر واختار لعينى طريقا ما مشى فيه سواى

وأرانى أتحداه وأوصيه بأن يقرأ فى وضح الضحى فاتحة الصبر على

* * *

هذه طالبة مائعة أنبذها بعد نقاش موغل فى النار أملاه على العقل والعصر وما كنت الى جانب هذا ، حيوانا بشريا يشتهى فى حضرة الريح ــ الزهومه !..

إن جرحى يعرف اليوم تخومه

* * *

إننى ما زلت وجها بدويا

أحمل الشامة عرض الناظرين

ودمى ظل مناخا قرويا

وسيبقى واحدا فى الحالتين ...

يوسف رزوقة

20 افريل 1979

العربية واللغات السامية

بقلم : محمد قنطر

اللغـات السـاميـة :

حاول منذ القديم فقهاء اللغة احصاء اللغات المستعملة فى مختلف اقطار المعمورة كما حاولوا تقسيمها وترتيبها فى مجموعات على أساس الوشائج اللغوية التى قد تربط بينها . فمنذ العصور القديمة تم الوقوف على أواصر القرابة التى تصل بين اللغات المتواجدة فى الربوع الكائنة بين الفرات والبحر الأبيض المتوسط . وتلك القرابة بين مختلف تلك اللغات يسرت استعمال احداها كلغة دولية فى مستوى العلاقات بين عدد من دول المنطقة وهذه اللغة التى وقع اختيارها لتكون جسرا بين الدول اذذاك هى الاكادية اى لغة أكاد — وأكاد (بتضعيف الكاف) فى وادى الرافدين . ذلك أنها كانت يسيرة الفهم بالنسبة لاقطار يتخاطب الناس فيها بلغات مختلفة لكنها قريبة من اللغة الاكادية . ولا شك أن قوة اكاد وسلطانها ساعدا على اختيارها بل فرضها كلغة دولية .

والطريف أن مصر الفراعنة كانت تستعمل اللغة الأكادية فى علاقاتها الخارجية لا سيما مع دول المنطقة الممتدة بين الفرات والبحر الابيض المتوسط ومنها الدويلات الكنعانية . ولئن اختار الفراعنة لغة أكاد فى علاقاتهم الخارجية فذلك لانتشارها فى الربوع السورية الفلسطينية وما سر انتشارها الا فى الوشائج اللغوية التى تربط بينها وبين سائر اللغات المتواجدة فى المنطقة . ومما يثبت قطعا استعمال الأكادية فى ديوان العلاقات الخارجية فى مصر الفراعنة أيام أخنتون مجموعة من الرسائل والوثائق الدبلوماسية كشف عنها الغطاء فى خرائب تل العمارنة حيث كانت توجد عاصمة أخنتون وقد حكم هذا الفرعون مصر من 1370 الى 1352 قبل الميلاد .

وفى النصف الثانى من القرن السادس قبل الميلاد تالق نجم الفرس وكانت الدولة الاخمينية نسبة لمؤسسها « هاخمنيش » وقورش من أعظم ملوكها وقد

فتح مدينة بابل سنه 539 قبل الميلاد وسرعان ما استولى على الهلال الخصيب لكن الاهم عندنا فى هذا الصدد هو اختيار اللغة الارامية من قبل الاخمينيين لعلاقاتهم الخارجية ومعنى ذلك أن الأرامية أصبحت لغـة دوليـة فى القـرن السادس قبل الميلاد ؛ ولا شك أن الاخمينيين فى اختيارهم لها راعوا اذذاك مكانتها فى المنطقة الناتجة لا فقط عن اشعاع الاراميين بل كذلك عن السهولة التى يجدها سكان أقطار ما وراء الفرات وسكان وادى الرافدين فى تعلم اللغة الأرامية واستعمالها . وسر ذلك فى الوشائـج التى تربطهـا بمختلف لغات المنطقة . الى جانب عوامل أخرى كانت تساعد على نشر اللغة الأرامية منهـا كتابتها الأبجدية اليسيرة اذا ما قورنت بالكتابات الاخرى كالكتابة المصرية التصويرية والكتابة المسمارية المقطعية المستعملة فى وادى الرافدين وفى بلاد الأناضول عند الحثيين مثلا . وثبت أن اللغة الآكادية كانت لغة دولية خلال الالف الثانية قبل الميلاد وثابت أن اللغة الأرامية ارتقت الى تلك الوظيفة فى أيام الأخمينيين ولا شك أن القرابة التى تصل بين العديد من لغات المنطقـة كانت من العوامل الفعالة لاقرار ذلك الاختيار وحيث كانت التجارب اليومية تثبت أن الكنعانى يتمكن من حذق العبرية أو الارامية أو الآكادية أو العربية دون مشقة وعناء ولعله يفهم محتوى نص أرامى أو أكادى دون سابق دراسة عميقة للغة النص .

بل ترى بعضهم لا يميز بين اللغـة والاخرى لما بينهما مـن متين العلاقات والتشابه من ذلك نلاحظ أن النبى اليهودى « أشعيـا » كان لا يميز بين لغة اليهود ولغة كنعان فيقول متوعدا مصر : « فى ذلك اليوم تكون خمس مدن من أرض مصر تتكلم بلغة كنعان وتقسم لرب الجنـود ويقـال لاحداهـا مـدينة الشمس » (من سفـر أشعيـا الفصل التاسع عشر ، الآية 18) ومما أثبت العلاقة المتينة بين اللغة الكنعانية واللغة العبرية نجـاح القـس بـرثيليمى Barthelémy فى قراءة النصوص الفنيقية وفهمها منذ بداية النصف الثانى من القرن الثامن عشر وكان قد تمكن كذلك من قراءة اللغة التدمرية وفهمها مستندا الى العبرية وانطلاقا من نصوص مترجمة الى اليونانية .

ومع تعدد الدراسات وتعمق الباحثين تأكد أن لغات المنطقة الكـائنة بين وادى الرافدين والجزيرة العربية والبحر الابيض المتوسط تشكـل مجمـوعة واحدة لها من أواصر القرابة ما يعلل تنزيلها فى أسرة واحدة ولعل من عبر عن ذلك لاول مرة بشكل واضح لا غبار عليه هو المستشرق الالمـانى شلـوزل A. L. Schlozel فى الجزء الثامن من فهرس الادب التوراتى والشرقى الذى

كان يشرف عليه أيشهورن J. G. Eichhoru وكان ذلك سنة 1781 . كتب المستشرق شلوزل فى هذا الصدد : « من المتوسط الى الفرات ومن بلاد ما بين النهرين الى شبه الجزيرة العربية تسود كما هو معروف لغة واحدة وعليه فالسوريون والبابليون والعبريون والعرب كانوا أمة واحدة . والفنيقيون الحاميون أيضا يتكلمون بهذه اللغة التى أود أن أدعوها « سامية » .

ولأول مرة تستعمل نسبة « سامى » للتعريف بمجموعة من اللغات وبالتالى للتعريف بمجموعة الشعوب التى تتخاطب بتلك اللغات العديدة وأساس هذه النسبة ما ورد فى سفر التكوين من التوراة فى خصوص الشعوب وعلاقاتها بأبناء آدم ونوح .

وشاع استعمال تلك النسبة فى كتابات الذين يعالجون قضايا تلك المنطقة التاريخية والحضارية واللغوية بوجه خاص حتى أننا نقول اللغات السامية والشعوب السامية والحضارات السامية وما زالت قضية أصولها أو مسقط رأسها يحظى بعناية المؤرخين ولا نريد معالجة هذه القضية المتشعبة بل نكتفى بذكر بعض الحقائق :

أ) أثبت البحث العلمى فى ميادين الانتروبولوجيا أن لا وجود للعرق الصريح وذلك منذ طفولة البشرية فالنظرية العرقية سقطت وليس من عالم مختص مخلص لعلمه يؤمن بها فنظرية ابناء سام لا طاقة لها على الصمود .

ب) وثابت أيضا أن الشعوب أو الحضارات التى تلقب أو تنعت بالسامية اصطلاحا كانت منتشرة على اختلافها وتنوعها فى ربوع الهلال الخصيب منذ فجر التاريخ ومعنى ذلك أن المؤرخ يقف أمام أمر مقضى ويبدو من المرجح أن اللبنات الاولى من « الانشاء » الذى نسميه بالشعوب السامية أو الحضارات السامية أو اللغات السامية أخذت شكلها فى ربوع الهلال الخصيب ولكن كيف ومتى ؟ لا ندرى !

ج) وثابت كذلك أن للشعوب السامية وللحضارات السامية واللغات السامية طاقة شعاع واستيعاب جعلتها تتوسع « عرقيا » وتتمثل شعوبا وقبائل عديدة مختلفة مما ساعدها على التوسع جغرافيا وتزداد عمقا وثراء .

اللغات السامية : أقسامها وملامحها :

إن أقدم ما لدينا من الوثائق حول اللغات السامية يعود الى بداية الألف الثالثة قبل الميلاد ولعل أقدم المعطيات اللغوية السامية وردت فى نصوص

سومرية تلك التى عثر عليها فى مدن جنوب الرافدين ومنها أور وأوروك ولجش ونفر وغيرها . ثم تاثرت النصوص الاكادية فى حكم سلالة سرجون الاول « شروكن » (2371 ـ 2316 قبل الميلاد) وما انفكت تنتشر اللغة الاكادية بفرعيها البابلي والاشورى عبر العصور وتجاوزت الحدود الرافدية خلال الالف الثانية .

وفي الوقت الذى كانت فيه الدول الرافدية تستعمل اللغة الاكادية أو اللغة البابلية الأشورية كانت مناطق أخرى المتواجدة وراء الفرات تستعمل لغات سامية لها خصوصيتها منها اللغة الأمورية واللغة الكنعانية كالأغاريتية ومنها كذلك لغة عثر عليها فى السنوات الاخيرة فى سورية بالمنطقة المعروفة بتل مرديخ على الطريق الرابطة بين دمشق وحلب : كان من حظ فريق إيطالي العثور على مدينة عظيمة يبدو أنها بلغت أوجها خلال الالف الثانية قبل الميلاد وقد كان ملوكها أو حكامها معاصرين لحمورابى البابلي وتسمى هذه المدينة إبلا Ebla . كشفوا الغطاء عن القصر وجدوا مكتبة القصر وعلى رفوفها آلاف الرقم تحمل نصوصا بلغة قريبة من الكنعانية كتابتها مسمارية مقطعة. تم الى حد الآن إحصاء ما ينيف عن 10.000 وثيقة توجد كلها محفوظة فى متحف حلب . فهذه الوثائق العديدة أضيفت الى ما يزيد عن مائتي ألف وثيقة مسمارية معروفة من ذى قبل .

أضف الى هذه المجموعات الوثائق اللغوية السامية التى عثر عليها فى أوغاريت وفى مختلف المدن الكنعانية والفنيقية والارمية كما لابد من اضافة النصوص العربية والعبرية والحميرية والسبئية والاثيوبية . فالمادة ضخمة كما وكيفا وتعود الى مجموعتين :

أ) المجموعة الشرقية وتشمل الاكادية والبابلية والاشورية ـ وتتميز هذه المجموعة فى مستوى الفعل حيث تكون صيغة الماضى وصيغة المضارع بواسطة زوائد سابقة أو سوابق Préfixes أما الديمومة فتكون صيغتها بواسطة زوائد لاحقة أو لواحق Suffixes .

ب) المجموعة الغربية وتنقسم الى قسمين : قسم شمالى غربى وقسم جنوبى غربى ، ومن مميزات هذه اللغات استعمال اللواحق لصيغة الماضى واستعمال الزوائد واللواحق لصيغة المضارع .

فالقسم الجنوبى الغربى يشمل العربية الشمالية القديمة المعروفة عن طريق النقائش اللحيانية والثمودية والصفوية ثم العربية التى تمثل لغة الشعر

الجاهلى ولغة القرآن ونجد فيه كذلك لهجات الجنوب (جنوب الجزيرة) كاليمنية والسبئية والحضرمية ولهذا الفرع تنتمى اللغة الاثيوبية بمختلف لهجاتها .

أما القسم الشمالى الغربى فهو يتكون من الكنعانية (أوغارتية وفنيقية وبونيقية وبونيقية حديثة) وفيه العبرية والارمية بفروعها (التدمرية ـ النبطية والسريانية) .

الفنيقيـــة :

إن أقدم الوثائق الفنيقية المكتوبة لا تتجاوز حدود القرن الحادى عشر قبل الميلاد مع العلم أن النصوص الأوغارتية لا تدخل فى زمرة النصوص الفنيقية فهى تختلف عنها لا فقط فى مستوى شكل الحروف بل فيها ما يميزها صوتيا ومعجميا وقد عثر فى خرائب أوغاريت على مجموعة كبيرة من الرقم الأغارنية أثناء الحفريات التى كان يشرف عليها أثارى فرنسى Claude Schaeffer ـ كلود شيفير ـ ولما تم الوقوف على محتوى هذه النصوص الأوغارتية بفضل مجهودات جبارة قام بها ثلة من كبار فقهاء اللغات السامية القديمة تغيرت المعطيات المتعلقة بالكنعانيين وبالفنيقيين واختفت اتجاهات ونظريات كانت تعتبر الكنعانيين والفنيقيين عاجزين جبلة على المساهمة فى بعض الميادين الحضارية فكان بعض المؤرخين لا يتحرجون من القول بأن بنى كنعان الفنيقيين لم يصلوا الى مستويات الخلق الادبى والفنى حيث كانوا فى رأيهم لايهتمون إلا بالتجارة وكسب المال . فجاءت النصوص الاورغارتية تفند هذه الاقوال والنظريات التى لا تخلو من العنصرية شعر بها أصحابها أولم يشعروا . وذلك فضلا عن الكنوز اللغوية والمواد التى يجد فيها اللغوى أو « الألسنى » مجالات بحث تمتاز بالفساحة والعمق .

أما النصوص الفنيقية فلقد التقط الكثير منها فى خرائب المدن الفنيقية نفسها كجبيل Byblos وصيدة Sidon وصور ولما كان الفنيقيون قد توسعوا فى حوضى البحر الابيض المتوسط انتشرت حضارتهم وانتشرت لغتهم كما تشهد به النصوص الفنيقية التى تم العثور عليها فى قبرص ، خاصة فى أقطار الحوض الغربى من البحر الابيض المتوسط منها جزيرة صقلية وجزيرة سردانيا وجزيرة مالطة والمناطق الجنوبية من شبه جزيرة الايبار على أن البلاد المغربية تمتاز عليها جميعا بغزارة ما عثر عليه فيها من

النصوص الفنيقية وبتنوعها وتمتاز كذلك بثبات اللغة الفنيقية فيهـا حتى دخول العرب فكان أهل الريف أيام القديس أوغستنوس يتخاطبون باللغـة الفنيقية ويؤمنون أنهم من أصل كنعاني وفي رأى بعض المؤرخين أن اللغـة الفنيقية في بلاد المغرب ساعدت على انتشار اللغة العربية لما بين اللغتين من أواصر القرابة .

فلقد عثر في تونس والجزائر والمغرب الاقصى على آلاف النصوص الفنيقية والبونيقية والبونيقية الحديثة وما انفكت هذه المجموعة من الوثائق اللغوية الثمينة تتكاثر مع مر السنين وتعدد الحفريات والمكتشفات ولا شك أن لبلادنا القسط الاوفر ـ قسط الاسد ـ في مجموعة هذه النصـوص الفنيقيـة فلقـد كشف الغطاء في توفات صلامبو على أنصاب مسطورة يفوق عددها 6.000 على أنه لم يقع إحصاء تلك النصب بكل ضبط وقد تلاشى بعضها منـذ القـرن التاسع عشر ومنها ما تم الاستـلاء عليه ويوجـد اليـوم في بعض المتـاحف الاجنبية في أوربا وأمريكا وآسيا فتجد الانصـاب البـونيقية في المتـاحف اليابانية والروسية والفرنسية والبريطانية وتجدها في متـاحف الولايـات المتحدة وغيرها .

على أن النصوص الفنيقية والبونيقية في تونس ليست وقفـا على مـدينة قرطاج ومعبد التوفات فيها بل عثر على نصوص كثيـرة في منـاطق أخـرى فيصح القول إن ما لدينا اليوم من النصوص الفنيقية والبونيقية والبونيقية الحديثة يغطي كامل مناطق البلاد مما يثبت مدى انتشار اللغة الفنيقية ومدى نفاذها في مختلف المستويات الاجتماعية : من المدن والقرى التي تم العثـور فيها على نصوص فنيقية أو بونيقية حديثة أذكر على سبيل المثال : سـوسة ومكثر وطبـرسق ودقـة وبلـة والديماس (بقالطـة) وتجفغ قرب مدنيـن وتطاوين وبوعرادة وتلالسة فيما بين المهدية والجم وغيرها من المناطق الاخرى على أننا نفتقر الى خارطة النصوص الفنيقية والبونيقية والبونيقية الحديثة في تونس والى مثلها بالنسبة الى الجزائر والمغرب الاقصى .

وليس من الغريب أن يتوفر هذا العدد الكبير من النصوص الفنيقيـة في بلاد المغرب اذا ما عرفنا أن أهل البلاد أقبلوا على تلك اللغة وتشبعوا بها حتى أصبحت لغتهم فالملوك اللوبيون من نـوميديين وماوريـين لـم يتحرجـوا من استعمال اللغة الفنيقية في قصورهم ودواوين ادارتهم وكانت الفنيقية لغـة

الديانة وكانت لغة التخاطب فلا شك أنها انتشرت أفقيا ونفذت فى الاعماق عموديا يستخدمها الاعيان وتستخدمها العامة كما يتبين ذلك جليا فى شواهد القبور مثلا . على أن ذلك لا يعنى انقراض اللغة اللوبية فلقد ثبتت هى الاخرى فى بعض الجزر الجبلية أو الصحراوية النائية وتراها أحيانا تتعايش مع اللغة الفنيقية ولا أدل على ثباتها من وجود ما لا يقل عن مائة لهجة بربرية فى المغرب الكبير كلها من فروع اللغة اللوبية لكن هذه قضية قد تبعدنا عن محور اهتمامنا اليوم .

تلك هى اللغات السامية فى عجالة . فعندما يقف الباحث أمام هذه المجموعات بفروعها المختلفة يتبين ما لها من عراقة ومجد ويرى أن النصوص السامية من أقدم ما عرفه التاريخ ليس للغة الآرية نصوص تضاهى ما يحق للغات السامية أن تفتخر به . آلاف مؤلفة من النصوص الاكادية تعود الى الالف الثالثة والالف الثانية قبل الميلاد فاذا أضفت اليها ما عثر عليه فى مدينة مارى على الفرات ومدينة ابلا فى الشام وفى مدينة أوغاريت على الساحل السورى ثم النصوص الأرمية والعبرية والفنيقية والعربية القديمة ثبتت لك غزارة هذه المواد اللغوية التى كما عرجت منذ حين تمكنك من متابعة هذه اللغات السامية منذ أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد ومعنى ذلك أن الرصيد اللغوى الذى يمثله بنك اللغات السامية يغطى ما ينيف عن ستة آلاف سنة ومعنى ذلك أن لبعض العناصر اللغوية من التاريخ الثابت المضبوط ما لا يقل عن 6.000 سنة مع تواجد جغرافى يغطى أقطارا مترامية الاطراف عبر كثبان الصحارى وأمواج البحار فمادة كتب ومادة قرأ تجدهما فى النصوص الاكادية وتجدهما فى أفواه الجماهير العربية التى ما انفكت تطالب بحقها فى التربية والثقافة . إنه لأمر مثير حقا جدير باهتمام المؤرخ واللغوى والألسنى لا سيما ان كان من أبناء العروبة ، والعروبة حضارة لا عرق واللغة من أبرز مظاهر الحضارة وأمتنها وأثقلها وزنا فى حياة الانسان وسلوكه باعتبارها الوالدة والمولودة .

لكن لا بد من الاشارة الى واقع مر ولعله من أبرز مظاهر التخلف عند الشعوب العربية ذلك أن العرب ما زالوا يزهدون فى كنوزهم اللغوية ومن علمائهم من لا يشعر بقيمة الرصيد اللغوى الذى تم افتكاكه من طبقات النسيان بعد ازاحة التراب المتراكم عليه ويتجلى ذلك بكل بيان عندما نلاحظ الفراغ الذى يشكوه العالم العربى المعاصر فى ميدان الدراسات السامية فتكاد لا تجد عربيا واحدا وراء النصوص الاكادية ومن أغرب ما سجلته هذه

السنوات الاخيرة عدم اهتمام « العرب » بما تم العثور عليه فى خرائب تـل مرديخ بالقطر السورى : كشف الغطاء عن احدى العواصم السامية القديمة وفى قصر الملك وجدت قاعة الرقم أو قاعة الكتب والوثـائق والارشيف ــ آلاف الوثائق التى اهتز لها علماء الغرب أيما اهتـزاز وتحـدثت عنهـا الصحف اليومية فضلا عن المحاضرات والدراسات المختصة التى احتضنتها الجامعـات ومراكز البحث العلمى فى العديد من الأقطار الاوربية والامركية حتى كاد العالم الايطالى بتناتو يزور الدنيا كلها تعريفا بكنوز تل مرديـخ اللغـوية أى بـرقم تل مرديخ دون ما يشعر بها العالم العربى بل كان الحدث حدثا بسيطا تكلمت عنه بعض الصحف باحتشام لا أذكر أنالصحف التونسية ــ ولسنا أقلعروبة من الاقطار الاخرى ــ تحدثت عن ذلك الاكتشاف العظيم وكان الامر كـذلك بالنسبة لنصوص مدينة مارى : ولدراستها واستغلالها واستنطاقها تاريخيا وحضاريا ولغويا سخـرت أحـدث الوسائـل التقنيـة كالعقـل الالكترونى والاعلامية Informatique وكان الامر كذلك بالنسبة لنصوص أوغاريت التى حركت المؤرخين واللغويين والالسنيين الغـربين فهـذا يتناولهـا من الوجهة التاريخية باحثا عما قد يثرى معرفته حول الشرق القديم عامة وحول الكنعانيين خاصة وهذا يتناولها لتسليط أضواء على بعض الزوايا الغامضة من التوراة وهذا يفحصها أملا فى ايجاد حلول لقضايا لغوية نحوية كانت أو صرفية أو معجمية ومنهم من يأمل فى المزيد من فهم النصوص الكنعـانية أو الارمية مثلا عن طريق النتائج اللغوية التى قد يصل اليها دارس النصـوص الأوغارتية والملاحظ أن تفسير التوراة قد استفاد كبير الاستفادة من تحليل تلك الكنوز السامية المختلفة فلا يجهل التفسير التوراتى أو الانجيلى مـا قـد تفيد بـه النصوص الاكادية والنصوص البابلية الاشورية والنصوص الارميـة والنصوص الامورية والنصوص الكنعانية كما ابدى اهتماما كبيرا بآخر ما جد فى هذا الميدان أى برقم تل مرديخ بل يبدو أن الصهيونية حاولت استغـلال تلك النصوص لتدعيم نظرياتها وطموحاتها ولعلها تريد عبثا اثبـات الوجـود العبرى فى أرض كنعان منذ بداية الالف الثانية قبل الميلاد أو حتى منذ الألف الثالثة وتتخذ من ذلك شرعية تاريخية .

ومهما يكن من أمر فلم يكن يحدث تل مرديخ وقعه فى القطر السورى ولا فى أى قطر عربى آخر ولكن لما كان من الصهيونية ما ذكرت شعر الاخوة فى سورية ببعض الحيرة أمام تلك الكنوز ولكن ما العمل وليس فى سورية من يحسن قراءة وتفسير هذه الوثائق ؟ وبعد الاخذ والرد عهد بتلـك الكنـوز

الثمينة الى ثلة من علماء المسماريات لفحصها ونشرها وتفسيرها حتى تدخل فى الدورة اللغوية والعلمية وتصبح فى متناول كل من قد يريد استغلالها باعتبارها تراثا مشاعا ومساهمة فى سبك الحضارة البشرية .

على أن أبواب الجامعات العربية ما زالت موصدة أمام هذه الكنوز اللغوية وكأنها لم تدرك مستوى الشعور الواعى بقيمتها ولو أن هناك بعض المحاولات المتواضعة التى غالبا ما تكون يتيمة أصحابها لا يجدون المناخ المساعد على اليناعة والازدهار وقد ظهرت تلك المحاولات فى مصر والعراق خاصة حيث بدأ العراقيون يهتمون أكثر من ذى قبل بالدراسات المسمارية كما توجد بعض المحاولات الفردية التى بقيت محدودة .

وهذا الزهد فى كنوز لغوية يعود بعضها الى الماضى السحيق يبعث على الدهشة والاستغراب عندما نلمسه فى الذين يعنون بشؤون اللغة العربية ويجهدون فى فهمها والوقوف على قوانينها وعلى المراحل التى مرت بها مفرداتها وتراكيبها ـ ليس هنا المجال لذكر كل المساعدات التى قد يجدها اللغوى والألسنى عامة فى تعرفه الى هذه المادة اللغوية الغزيرة عددا المختلفة فى ملامحها ومن حيث مكانها وزمانها ولكن لنكتف بالاشارة الى بعضها .

1) وصف اللغة العربية :

لا شك أن وصف اللغة العربية وصفا علميا أى وصفا أنتوميا وفزيولوجيا لا يتيسر اذا بقى الواصف فى حدود اللغة العربية لان الوصف العلمى يعنى الفهم والوقوف على كنه الامور أى على أسباب الظواهر والتحولات والمرور من شكل الى شكل ومن محتوى الى محتوى فيه من القديم وفيه الجديد صوتا ومعنى فالعمل عسير كما قلت لكن فى الرصيد اللغوى السامى القديم ـ على مختلف مجموعاته وفروعه ـ الكثير من المفاتيح التى تساعد على فتح الابواب الموصدة . وكم من قضية لغوية فى العربية تصبح واضحة كل الوضوح اذا ما استعان اللغوى الالسنى بفوانيس اللغات السامية القديمة .

من ذلك مثلا قضية وصف اللغة وصفا زمنيا **Diacronique** لا شك أنه من الضرورى ترتيب التراث اللغوى العربى ترتيبا زمنيا ثم ملاحقة العناصر الفردية والتراكيب ومعاينة سلوكها عبر الازمنة ولا شك أن الالسنى المحيط بمحتويات الكنوز اللغوية السامية سيتمكن مع بعض العناصر والتراكيب تجاوز حدود النصوص العربية وهى فى غالبها حديثة نسبيا ويلاحق تلك

العناصر والتراكيب عبر آلاف السنين قبل الميلاد ولقد أشرت منذ حين الى مادة « كتب » ومادة قرأ اللتين توجد فى وثائق عـريقة مـوغلة فى القـدم . وثابت أن كل ما لدينا الآن فى خصوص العربية محاولات لوصف اللغة وصفا أفقيا تزامنيا وعلى هذا الاساس ألفت المعاجم العربية القديمة كاللسـان لابن منظـور .

2) أصـول الألفـاظ :

إن العلاقة بين هذه القضية والتى سبقتها متينة اذ البحث عن أصل الكلمة يعنى العودة الى المعنى الاول أى الى المعنى القديم الذى تولدت عنه معان حديثة واذا اعتبرنا الهيكل الحرفى كوعاء أو ظرف فالبحث عن أصل الكلمـة يفيـد البحث عن أول أو أقدم مظروف استوعبه الهيكل الحرفى أو قل حواه الهيكل الحـرفى أى ذلـك الـذى سميناه وعـاء أو ظـرفـا وبـديهى أن يـوجـد القديم فى القديم فاذا أردت أن تقف على أصل مادة « قرأ » فلا يكفيك البحث عن معانيها فى نصوص حديثة والحال أنها توجد فى نصوص عديدة تتجـاوز حدود الالف الثانية قبل الميلاد فلا بد اذن من الرجـوع الى تلـك النصـوص القديمة أكادية كانت أو أمورية أو كنعانية أو غيرها من النصوص التى عثر عليها أو قد يقع العثور عليها فى مستقبل قريب أو بعيد والنتيجة التى قـد يدركها الالسنى تصبح أداة فى سوق البحث العلمى ويستفيد منها أصحاب الاختصاصات المختلفة من مؤرخ ومفسر وغيرهما كثير فلا شـك أن دراسـة عمودية لمادة « قرأ » يستفيد منها المفسر اذا تناول أولى آيات القرآن الكريم « اقرأ باسم ربك ... » والامثلة كثيرة فى هذا الصدد .

3) قضيـة العـربى والدخيـل :

لقد اهتم علماء اللغة العرب بهذه القضية ووضعت معاجم للمفردات الدخيلة وقد يشير أصحاب بعض المعاجم العربية الى المفردات الدخيلة . لكن ليس من اليسير دائما التمييز بين الدخيل والعربى اذا كان الدخيل من أصل سـامى ينتمى الى بعض اللغات السامية كالأرمية والفنيقية وقد يكون الدخيل دخيلا من حيث شكله أو من حيث محتواه أو من حيث الشكل والمحتوى معا . فهـذه كلمة « جهنم » يقول ابن منظور انها من جهنام وهو القعر البعيد وبه سميت جهنم لبعد قعرها وقال اللحيانى : جهنام اسم أعجمى ... ويقال هو فارسى معرب وأورد الازهرى فى جهنم قولين : قول الذين كانـوا يعتبـرون الاسـم أعجميا وقول الذين يعتبرونه عربيا ـ وقيل هو تعريب كهنـام بالعبـرية ـ

وحكي على ابن يونس أن جهنم اسم أعجمي ـ على أن ابن خالـويه يعتبرهـا عربية . فلو كان علماء اللغة اذذاك يحسنون العبرية لما اختلفوا في شأن جهنم وثبت لديهم أن الاسم من أصل عبرى دخل العربية عن طريق التوراة . لكن لا ندرى هل كان ذلك قبل الدعوة الاسلامية أم معها .

اللغـة الفنيقيـة والعـربية في المغـرب :

من المعلوم أن الفنيقيين لعبوا دورا كبيرا في بلاد المغرب عامة وفي تونس خاصة ولقد انتشرت اللغة الفنيقية انتشارا كما تشهد به آلاف النقائش التي تغطى قرونا عديدة : إن أقدم نقيشة فنيقية عندنا في تونس تعود الى القرن السادس قبل الميلاد كما توجد نقـائش سطـرت بالخط البـونيقى الحـديث Néopunique تنتسب الى القرن الاول بعد الميلاد ولعل بعضها يدرك القرن الثاني ميلاديا كالتي عثر عليها في منطقة بوعرادة . وسبق ان اشـرت الى ثبات اللغة الفنيقية في المغرب الى أيام الفتح العربي ويبدو أن ذلـك يسـر انتشار اللغة العربية في افريقية . فلا شك اذن أن اللسان العربي وجد رصيدا فنيقياً ساميا في بلادنا وابتلعه كما ابتلع الرواسب اللغوية الاخرى مما يحتم على الدارس اللغوى أو الألسني اعتبار تلـك الـرواسب لا سيمـا بالنسبـة للهجات العامية أو الدارجة التي تمتاز بتشعبها وثرائهـا من حيث أصولهـا ومركباتها لا من حيث امكاناتها وقدراتها ففيها اللاتينية وفيهـا البربـرية ـ اللوبية ـ ولا شك أن فيها ما يعود الى الرواسب الفنيقية على أنه من العسير الوقوف عليها لما لها من أواصر القرابة مع اللغة العربية ولعل الملامح الصوتية و « السيميوية » Sémantique من الوسائل التي قد تساعد على عزل هذه الرواسب الفنيقية ومعرفتها من ذلك عندنا كلمة عندنا في الـدارجة التـونسية : منصبة . وهي مشتقة من مادة « نصب » المعروفة في لغات سامية عديدة منها العبرية والفنيقية والعربية وغيرها . لكن وجودها في الـدارجة التـونسية يجعل إرجاعها الى العربية أمرا بديهيا منطقيا لا سيما وصيغة « مفعلة » من الصيغ العربية العريقة . تفيد اسم المكان وما قد يلحق به .

فاذا عدنا الى مادة « نصب » نرى مشتقاتها تتمحـور حـول محـورين : « التعب والدفع » على أن هناك بعض الاعلام الآدمية أو الجغرافية أو غيرها لا أدرى هل تعود الى أحد هذين المحورين أم الى محـاور أخـرى . وتـوجد في العربية صيغة « منصبة » كما ورد في اللسان بمعنى الكد والجد والتعب فيقال « عيش ذو منصبة » أي فيه كد وجد أي عيش متعب ـ لكن لا علاقة بين هذا

المعنى والمعنى الذى تحويه كلمة « منصبة » المستعملة فى بعض المناطق التونسية وخاصة فى الساحل ذلك أن هنا « المنصبة » هى الحجرة الكبيرة . والغريب أنها تستعمل بالخصوص إذا كانت الحجرة قذيفة يقال مثلا : ضربه بمنصبة . أو رمى عليه منصبة الى غير ذلك .

لا شك أن اللغة العربية أوجدت علاقة بين مادة نصب والحجارة من ذلك الانصاب أى التماثيل الحجرية التى كانت تمثل الآلهة فى الوثنية العربية قبل الاسلام . ومنها النصبة أى السارية وكثيرا ما تكون من حجارة ــ ومنها التناصيب او الانأصيب وهى الحجارة التى تنصب على رؤوس القبور يستدل بها ومنها النصائب كذلك وهى الحجارة تنصب حول الحوض ، يسد ما بينها من الحصاص بالمدرة المعجونة وواحدتها نصيبة . فبالنسبة الى ما ورد فى اللسان لا وجود فى لغة العرب لمعنى الحجرة المنصوبة فى صيغة « منصبة » وكأنها صيغة استأثر بها محور « التعب » والمنصبة كما قلنا تعنى التعب والمشقة .

إذن كيف يمكن تفسير وجود منصبة فى الدارجة التونسية بمعنى الحجرة؟ قد تكون هذه الصيغة أضيفت الى محور «الرفع» فى بعض اللهجات العربية كاللهجة التونسية لكن لماذا التونسية ــ هل هى مجرد صدفة ؟ نحن نعلم أن الصدفة كلمة تقال عند جهل الاسباب الحقيقية . وعلى كل فلا ننسى أن بلاد المغرب عرفت لغة سامية قبل تقبلها للغة العرب وكنا أشرنا الى مدى انتشارها وثباتها أمام اللاتينية خاصة فى القرى والارياف أى فى الطبقات الشعبية ومن المادات اللغوية المعروفة فى لغة بنى كنعان اى اللغة الفنيقية مادة «نصب» ومن الصيغ التى ثبت وجودها صيغة « منصبة » لكنها تعنى هنا الحجرة الجنائزية تلك التى تنصب على رأس القبر يستدل بها ولقد عثر فى البلاد التونسية على عدد كبير من هذه « المنصبات » أو التناصيب كما يقال فى العربية وكثيرا ما تحمل نصا يبدأ بكلمة « منصبة » ثم يأتى ذكر اسم الميت ونسبه وعمره . وفى بعض الاحيان تدغم النون فى الميم فتصبح الكلمة « مصبة » عوض « منصبة » . وفى بعض الاحيان تعوض كلمة منصبة بمرادف «أبن» بمعنى الحجرة ومنها البناء وبنى.فالخلاصة أن البلاد المغربية عرفت صيغة « منصبة » بمعنى « الحجرة المنصوبة على القبر » منذ عهد قديم وقبل انتشار العربية فى افريقية . ولعل ذلك ما يفسر وجودها فى الدارجة التونسية ؟ إنى لا أستطيع القطع فى هذه القضية لكننى واثق من ضرورة اعتبار التاريخ

اللغوى للمنطقة اذا أردنا دراسة لغتها أو لهجتها فهناك رواسب لغوية تعود الى أقدم العصور ولا بد من أخذها بعين الاعتبار عند الوصف اللغوى والوصف العمودى يتطلب معرفة مختلف الابعاد الحضارية المتعاقبة منها والمتزامنة .

تلك بعض المحاور التى تثبت ضرورة الاهتمام باللغات السامية والامثلة التى ورد ذكرها تبين فى رأيى أن الوصف اللغوى لا يتسنى لمن اختار البقاء فى دائرة اللغة العربية دون اعتبار ما للغة العرب من أواصر القربى مع اللغات السامية الاخرى . فانى أعتقد راسخ الاعتقاد أن اللغة العربية تستفيد من الاضواء التى قد تسلط عليها من زوايا اللغات السامية المختلفة كالاكادية والأرمية والحميرية والفنيقية وغيرها ويستفيد منها الواصف لاشكال اللغة العربية وتراكيبها ويستفيد منها مؤرخ الالفاظ ويستفيد منها دارس العلاقات بين الاصوات والمعانى بين البنية الصوتية والمحتوى أو الشحنة أو قل بين الظرف والمظروف .

تلك بعض الخواطر طرحتها كما طرأت على واغفروا لى عدم الاحاطة بالمصطلحات الفنية ذلك أننى فى الواقع متطفل على الدراسات اللغوية وعلى الالسنية بالذات لكننى مؤمن بما قلت كما أومن بثقل المسؤولية الملقاة على عاتق المختصين فى الدراسات اللغوية والمختصين فى فقه اللغة العربية حتى يعملوا تسخير اللغات السامية لدرس العربية دراسة علمية تربط الماضى السحيق بالحاضر والمستقبل . أليس من الغريب أن تبقى العربية فى معزل عن أخواتها ؟

محمد فنطر

دنيا الضباع

قصة : حياة بن الشيخ

أرتمى فوق كومة يأسى المسلوق فى زحمة الشوارع الخلفية ، وأمامى تتصارع أمم من القذارة والزيف . تتناحر ببلبلة مضجرة . أظل كحشرة نصف مداسة ملقاة فوق الرصيف أرقب بشائر التعس الآتى ، والنكبة الحاضرة تستأصل رئتى .. تقدم جسمى أكلة ساخنة الأسى لشياطين البطش .

لبن أمى المسموم ما زال يعتصر حلقى ، يروى تربته الوخازة الاشواك .. وصوت ربى يتأرجح فوق حبال سمعى ، يترنم بكلمات رومنطقية مبدعة الايقاع .. أبواب الخير موصدة فى وجوهكم أنتم أيا أبناء القحط والعزم الميت .. لا أمان تحت الشمس .. لا مكان فوق الارض .. لا ... أسد أذنى عن المعزوفة الجنائزية وشظايا ايمان موؤود تفرقع تحت قدمى . تلتهم بنيرانها سبل النجاة المسدودة المنفذ . هذه دنيا الضباع ينعم بها المزيفون المخدوعون ، يقطفون أزهارها الذابلة وعيونهم مكممة سمرت بابر الجشع والسخف العلنى. أحاول الهروب من المدينة الملعونة ، تتدحرج حقائبى خلفى .. تعج بأحزانى.. تضج بنكساتى .. أقف على قارعة الطريق . لافتة حمراء تلطم نظرى . تقرر غصبا اتجاهى .. الطرق الملتوية الشائكة هى قبلة ابن القرن العشرين المطارد من الهموم ، ونزوات العقول المقلوبة . العقول المرتقة التى لم تعرف وجهتها ، ولم تدرك بعد حقيقة مسيرتها . عصر التذبذب ، والأفيون ، والجنس الرخيص والعواطف المجففة تباع فى سوق الضباع لاشباه بشر تسلق .. التعقيد حياتهم ، واستوطن الشذوذ نفوسهم .

عالم شاذ موحل فيه الخبيث يمتطى ظهر الغبى .. القوى يسلخ جلد الضعيف .. والكل دوما على استعداد لنهش أجسام بعضهم البعض .. وفتك بعضهم ببعض .. أناس يتغذون بالكلمات .. ينامون على زيف الشعارات .. ويستمدون العزم على مجابهة الحياة بالمؤامرات والدسائس على بعضهم البعض..

يقضون النهار لاهثين خلف ورقة نقدية يكتسبونها ، بينما يمر ركب الليل بهم بين جلسة للنسيان ينهبونها ، أو لحظات حب يختلسونها .. والخمر .. والأفيون .. والملل ، مع بوادر عجز جنسى زاحف هو أضمن وسيلة للقضاء على الحشرات البشرية .. أعدو وورائى يتعثر رفضى ترشح مسامه بغثيان أمسى السقيم . أرفض أن أكون جبنة دسمة تجذب الفئران النهمة الغبية !! أرفض أن أكون قاتلا ومقتولا وفى نفس الشبكة المثقوبة أبقى الضحية !!

فى هذا العالم الدنس المجرور من أنفه ، المقلوع الحوافر لم تعد تحبل الاناث بأطفال موردى الوجوه ، انما بجرذان تبدأ معركة الخبث فى دهاليز أرحامهن . تتعلم الحقارة فنا رسميا .. تتقن السفالة لحنا مبتكرا ، قبل أن تزج بها الاقدار فى خنادق الوجود حيث تترعرع هناك فى كفالة الكفر ، واللؤم ، والجحود ، لتلقى بها الاحداث فى يوم ما أمام ناطحات السحاب حيث مـا زال الانسان يبحث عن نفسه التى افتقدها فى ضباب الحضارة .. يجاهد فى إرتقاء سلـم المستحيل كى يلتقط أشلاء تطور مفكك الاوصال .. وفى قـاع المـدينة ، فى الحى المخنوق الانفاس ، أمام أكـوام الزبـالة ، فى الازقـة المظلمـة يصـرخ الثائرون فى شك سلبى يناشدون الحقيقة يتعقبون آثار غد متقوض البنيان .. وناطحات السحاب تضحك هازئة من نعيقهم .. والازقة تبكى حسرة ، ترثى جهودهم الضائعة تبكى مطامع الفئران الراكضة دوما خلف قطعة جبن دسمة ، تترصدها مصيدة صدئة .

لكن قطعة الجبن غدت أغلى من الفأر الذى سيلتهمها . والمصيـدة الصـدئة تتحدى رخص الاثنين معا . تعبث بقذارة الاثنين . وترفض زحف الاثنين معا!!

الغثيان يسحقنى .. هل من سجارة أيها ..؟ قهقه ساخرا وعلامات التعجب تنغرز بهضبة وجهه الموحلة .. محلية ؟ لا .. لا .. أفضلها أمريكيـة لـو .. باهظة الثمن أيتها الغبية . أغلى من انسان برجلين ويـدين .. ورأس واحـدة متحجرة التفكير ...

نعم أنا أرخص من عود كبريت منكسر ، لكنى فى أعماقى غالية الثمن .. البترول ينبع من شراييني .. أحمق ان لم تتفطن الى ذلـك لقد غـدا دمـى بترولاً يتاجر به سماسرة القحط فى أسواق التطاحن العالمية .. هل تريـد نقطة نفط ؟ انها النقطة الاخيرة التى بقيت فى شراييني .. لنقتسمها وأعطنى بدلها سجارة أمريكية .. ونفحة عطر أجنبية .. فعطورنا مغشوشة ، ممزوجة بمياه المستنقعات .. ومساحيقها مخلوطة بأتربة المقابر الجبلية .. موضة عصر

الذرة أن يكون الكل ممزوجا ، مغشوشا كحياتنا .. وأفكارنا .. ومعتقداتنا .. ومقرراتنا .. ومخططاتنا .. لاجل ذلك اختطفنى سماسرتى لما وجدونى زنجية .. قلنا منهم أن دمائى غدت بترولا تتنافس عليه الاسواق العالمية .. اعتصرونى .. اعتصرونى .. الى ان جف نبع الحياة منى ، أغبياء لقد أصبحت دمائى مياها عكرة مخلوطة بهستيرية جنونية .. بشذوذ أمسى الآن شعارا افريقيا .. ماذا قلت سيدى ؟ هل من ..

لم أزل أتسول رغيفا .. وسجارة .. أطلب جحرا أضاجع فيه انهيارى أو يضاجعنى .. يمد لى سندوتشا محشوا بجبنة متعفنة انتظرت سنوات قبل ان يسلمها مارد الاحتكار .. يقدمها الى السوق كبضاعة مستوردة ، لا كما جاءت إعانة دولية !!

يدس بيدى المرتعشة الاصابع نصف سجارة أمريكية ..

الجوع قد هد كيانى تتفتت أيامى تلحس مرارة الجبن المتعفن .. والسجارة تنط وسط مضيق أصابعى .. أبصق بعد لحظات الاعانة التى يتاجر بها مارد الاحتكار بعد سنوات من الرصد العلنى ، وأمعائى تتشاجر ألما فى قبر جوفى .

يرتمى على البائع طالبا ثمن الوجبة المسمومة . يتقاتل جوعى مع افلاسى لحظة .. أهرب .. أختفى خلف جدران المدينة الملتوية المطامع والآراء ، والبائع العملاق يلاحق ظلى الشارد . ينتزع اللذة منه عنوة ، منتقما لربع دينار قدمه لبطنى الجائعة .. أعدو والسجارة تتكسر بين أصابعى . تولول بصمت متسائلة : من منا أغلى ثمنا هى أم أنا ؟ من منا الآثم والضحية ؟

تصفعنى يد قذرة الاهواء . أندس بين طيات آلامى النازفة : لقد قررنا المحافظة على سلامة كل الجرذان .. لا حاجة بنا الى القطط الضالة .. فلتبحثى عن مأوى ورغيف تسدين به الرمق . لا مكان للاعشاب الطفيلية ..

أتدحرج نحو الشوارع المرصودة للصراع أجر خلفى عربة أزماتى .

الكل يعرض انتاجه . يتغنى مادحا جودة بضاعته : خبث .. زيف .. أشلاء قيم منهارة .. بقايا فضيلة مرتقة .. رماد براءة محترقة فى مدفأة العالم المتحضر المجرد من الامان . صناديق مشحونة بالرذيلة تفتح أمام أعين الفاشلين فراديس الجنان .. نصائح مستوردة لمن يشكو عجزا جنسيا .. لمن عذبته عقدة نفسية ، مجهولة المنبت .. نصائح علمية .. نظرية وسمعية .. من يشترى ؟ الكل هنا مستورد حتى أحلامنا .. وأفكارنا .. ومشاكلنا ..

مستورد ومختوم بطابع عالمي .. إنما هو محلي .. جد محلي .. لا تنسوا ذلك .. تغوص في ظهري أصابع غليظة ، محرقة الجلد : تعالى ساعديني على بيع بضاعتي . سأشغلك عندي بمثقال عهر كل ليلة . ستصبحين بعد ساعات أكبر ثرية .. ممنوع في مدينتنا أن تظلي مكتوفة اليدين بلا بيع أو شراء ..

ـ مفلسة .. أريد خبزا نظيفا لا يكون محشوا بشريحة لحم أزرق مستورد قتل خنقا من عدة أشهر ، أو بجبنة متعفنة من فضلات إعانات دولية ..

كشر وأسنانه تتكسر فوق سفح شفتيه المجروحتين : هس .. صوردت كلمة نظافة .. في أي قبر كنت حتى لم تسمعي الاخبار الرسمية ؟ تأهبي للعمل ، الزبائن كثيرون ، والمال يتدفق من جيوبهم كالغدران . أمام خشخشة الاوراق النقدية ، تموت كل القيم .. وتتهدم كل الحواجز .. هيا ابنتي لنبدأ البيع .. كلل الله أعمالنا بالنجاح .. الكل بمشيئته .. وعونه .. هذا كساء العمل .. تعالى لا بد من ارتدائه .. جسمي يتلون بين يديه . الطلاء يداهمه .. جماجم لابطال متبوذين ماتوا مختنقي الآمال ، تكتسح بطني وصدري . بنادق متحطمة لجنود حلموا دهرا بالحرب المصيرية .. شنقوا قهرا وما دخلوا ساحة الوغى ، تكسو ذراعي وساقي .. عشرات الافواه لاطفال جائعين ممزقي الشفاه ، تبحث بعناد شرس عن مكان فوق نهدي ، تحاول أن تمتص بقايا اللبن المتجمد فيهما .. لكن اللبن قد جف مذ علمت أني أرخص من سجارة أمريكية .. ومصيري تتلاعب به نقطة نفط ، ومشاكسات عربية .

الطلاء الزيتي يغرق لحمي .. صراع قبائلي ينشب معاركه بساحته . الحريق يلتهم الاشواك التي بدأت تنبت فيه .

يدفعني متزعم أمري نحو السوق . أهرول عبر المنعرجات الضيقة كأفكار أجدادي .. أحني قدمي بأوحالها . أموء بصوت متقد المهانة .. خبث .. زيف .. رذيلة .. نصائح علمية للمكبوتين فكريا .. كتب بها آخر ابتكارات النفاق العصرية .. آراء مستوردة عن .. قافلة من التافهين يتبعون خطاي .. أجسامهم اللامعة تنز بالطلاء الملون .. رواد الاحتكار .. سماسرة الاستغلال.. كلهم يشترون ، ويبيعون الزيف والسخف لأهالي المدينة النائمة تحت أجنحة الخراب والدمار .

السوق يعج بأشباه بشر بلا ثمن . كلهم أرخص من سجارة أمريكيـة .. كلهم قد حشوا بطونهم بشريحة لحم أزرق قتل خنقا منذ أشهر ، وبقطعة جبن متعفنة اشتروها بربع دينار وقد جاءت عن طريق اعانة دوليـة .. ولكـن .. جذبني من قفاى كهل مخلوط النوايا بعد أن تحسسني جيدا كأنه يطمئن على جودة بضاعة محلية مشكوك فيها . همس فى أذنى بصوت محتضر الصدى : قررنا أن نرفع قضية . عجت البحار بالفسق .. وضجت الارض بالفجور .. لا بد من حل سريع لبتر هذه الشعوذات الجهنمية .. اتبعيني ..

اقتفيت أثره وجماجم الابطال المنبوذين ترقص طربا فوق بطني .. وبنادق الجنود المتحطمة تطلق القذائف بفرحة سرية .

وجدت المأوى .. والخبز .. وربما كسبت القضية .. أخيرا ..

ارتمى فوق سرير نصف مخلوع . جذبني اليه وعيناه تبرقـان برغبـات خفية .. الزيف أقوى من أن نقضى عليه بين صبح وعشية .. تعالى حسنائى نتلفع برداء الفسق ما دام رخيصا ، ربما غدا ما وجدنا اليه سبيلا .. لا ضمان لنعالم من استغلال المحتكرين وتجار المطامع البشرية .. كانت سحنته تتورم مع الثوانى بأحاسيس دنسة . والغدر تتطاير شراراتـه من عينيـه .. مـن شفتيه .. يلغم برغبة كافرة حركاته .. ارتطم جسدى بالحائـط المخرمـش الوجه . قفز ماضى عروبتى يعصب رأسى . يبعدنى عن النظرات المراوغة .. كاذب .. مخادع .. لن أنحنى أبدا لـ ... غمـزاته تتصيـدنى .. أبحث عن منفذ للفرار .. تذبذب .. لؤم .. فجور .. هذه ملحمة دنيا الضباع .. لن ..

« التصلب الفكرى يرغمنا على السير الى الخلف . ما زالت أرواحنا تحن الى التطاحن الجاهلى .. والاستفزازات البـدائية .. مـا زالت تجرجرنـا المكـائد القبلية .. لا تصدقى جعجعة ما قيل وما سيقال .. تعالى يا بنيـة .. البـاب موصود . تتكسر أظافرى وأنا أحاول زعزعة مزلاجه . يقهقه الثعلب القـابع فوق السرير والمفتاح يلمع بين أصابعه كأنه دهن بـزيت أعتصـر من جلـد زنجى مات مطعونا من الخلف .

الجماجم فوق جسمى المحموم تتقاتل باستماتة فظيعة . ضحكته تصعقنى . تحفر تحت قدمى خنادق موحلة مملوءة بجرابيع الفاقة ..

يقترب منى وأشياء قذرة تقفز تحت جلبابه الحريرى .. تتـأهب لأغـراض دنيئـة ..

جبال من العجز تهوى فوق رأسى . أخر على الارض ألتقط أنفاسى الرافضة . أطنان من اللحم ترتمى فوقى .. تحملنى فى غيبوبة مؤلمة العواقب . أستفيق بعد ساعات .. ربما بعد دهر .. الخلاء يشملنى . البوم ينعق يحوم حول بقاياى الممزقة . يلعق آثار الطلاء الذى يصبغ جلدى .. أعدو وسرب من الأشباح تطاردنى . أحس بها تأكل خطواتى ولا أراها ..

الظلام يزحف .. يزدرد الكون . تلسع عقاربه قدمى المحترقتين . أعدو نحو منعرجات المدينة الملوثة الاقوال والافعال . الابواب مغلقة . الحراس واقفون كتماثيل متهشمة يحرسون الاسوار العتيقة البناء . يشدو ضبع غليظ النبرات وقد حشر قصرا فى ثياب عسكرية .. « كلمة السر .. وإلا .. »

ـ « ماض مبقور .. وحاضر دنس زائف : غد سعيد متقوض البنيان .. تلك هى المعادلة الأزلية » ..

« تفضلى .. أهلا بك فى مدينة الزيف .. الليلة نحتفل بأقدم إله عرفه التاريخ هو « إله التذبذب العالمى المتضخم السطوة عبر العصور .. »

أنضم الى حلبة العرس الباسم الحزن . ضحك . هستيرية . كبت . نفاق .. تحفظ علنى بمضغ بشراسة بوادر فسق خفى .. شعارات مزدوجة المعانى ، تتصارع فى قعر مبادىء مبتورة . رعب ضال .. أمان عسيرة ، معطوبة الامل .. الكل يتنازع فى دائرة الضياع الموقد شمعته فى ليل التدهور السرمدى ..

يلقى أحدهم بقناع على وجهى . تصدمنى همساته الواقعية الشذوذ .. « لا بقاء فى مدينتنا لمن ليس له قناع . أقنعتنا هى شخصيتنا . فوقها نقشت معالم وجودنا . نحن هنا نحب بقناع . نكره خلف قناع . نتاجر بقناع . نتقاتل بقناع نتصالح بقناع ، نصادر أفكار وآراء بعضنا بعضا بقناع .. ونمارس الجنس بقناع .. هل ترفضين ؟ كان قناعه رأس ضبع رقطاء كأغلبية الحضور .. وكان قناعى رأس ابن آوى متعب السحنة .. تعس . القسمات .

عانق الضبع ابن آوى ، وابتدأت سمفونية النفاق فى عرس الضباع . قال بعد لحظة تفكير : « كم أنت جميلة ووفية » (ابتسمت فى سرى وأنا أبحث عن جثمان الوفاء الذى قتله المخادعون .. ولا أجده .. ربما .؟) قلت ورغبة خفية فى التجريح بدأت تستبد بى :

ـ « أنت شهم .. سليل قبيلة عربية عريقة الامجـاد .. » (لست أدرى ما الذى جعلنى أجند أحرفى لاغتياله ؟) ..

كاد يقع أرضا من شدة الطرب وهو يقنع نفسه انه ربما كان شهما سليل قبيلة عربية أصيلة دون أن يدرى !.

لثمت يده زندى وقدماه تترنحان نشوة . قال وهو يـزداد التصاقا بى : « يا لك من امرأة مثالية يتمنى كل رجل ان تكونى ملكة قلبه » (تتلوى نظراتى فى ومضة خاطفة تحصد الآلاف المتجمعة لسماع معزوفة النفـاق فى عـرس الضباع .. أعد الوجوه المريضة ، الفاترة أنظر ذاهلة فلا أجد ولو نصف رجل يستحق أن أكون ملكة قلبه .. لقد انقرض الجنس الرجالى والابله لم يعلـم بعـد ...)

ضحكت وأنا اسوى ابن آوى فوق وجهى هامسة فى أذنه : « أنت انسان محترم فاضل ، يمكن أن يعتمد عليه المستغلون فى توزيع بضاعتهم : اللؤم .. والخداع .. والأخلاق المخلوطة ، المتلونة حسب المطامع .. »

قبل يدى بسذاجة وهو يتخيل نفسه رجلا محترما ، مقنعا نفسه أنى بلهاء حتى أصدق أنه ما زال فى العالم المتحضر ولو فتات إنسان محترم .. غير الاغبياء أمثالى .. طبعا ..

لم يستطع تحمل غبطته أكثر . انهار فوق جدار مصفقا ، هاتفا : يحيـا الغباء .. تحيا البلاهة . تعيش القيم المهترئة . لا بـد من كـأس نمضى بهـا معاهدة الوفاق .. نودع رواسب الخير الميتة .

انهيار .. انهيار ـــ انهيار .. الضباب يتكاثف . يعمـى مقلـة الليـل .. تذبذب .. غرائز مكبلة بحبال الكبت تحاول التحليق .. حرمـان راقص على دبكة تدهور .. رنا الى بعينين ظامئتين .. « أتذكرين من تسبب فـى طـرد آدم من الجنة . انها حواء الماكرة الآراء .. »

أضحك ونفحة زهو ـ أطارده من سنين ـ تلفحنى لاول مرة ، مع نسائم تشفى بائسى الفرح . « وهل خلق آدم ليعيش فى الجنة أيها الحيوان المعتوه . ألم تتفطن الى مهزلة الاله .. والاعيب القدر » ..

ـ « مهزلة !! نكبة أن يتذكر الانسان أنه كتب عليه التشـرد من أجـل تفاحة إلتهمها فى ساعة جوع ، واندفاع مقرف » .

ـ لقد خلق الانسان ليظل أبد الدهر يلهث خلف رغيف جـاف وقطعـة جبن متعفنة ترسل اليه فى شكل إعانة دولية ، إنها لا تسلم اليه إلا بعد أن تنام سنوات فى خزائن المحتكرين ، فيشتريها من الايـدى المستغلـة عندمـا تصبح طازجة السموم ، صالحة لتمزيق أمعائه .. قابلة للقضاء عليه .. حين يكون مستعدا للاصابة بالتخمة السياسية .. فاتـح البطـن لكل التشنجات العنصرية » .

ـ « النكسات غدت حصاد العالم الممسوخ ، المجرور من أنفه ، الغارق فى برك الزيف .. »

قلت وأنا أرفس بقدمى رأس ضبع مقطوع الاذنين :

ـ « ألا تكون أنت أول المزيفين .. لا أحد يستطيع أن يصدق أنه ربما كان أول المزيفين .. طبعا هذه رحمة إلهيـة تثلـج قلـب الانسـان المجـرد مـع الانسانية .. المتجاهل عمدا حقيقة الانسان .. »

أواصل الكلام وجسمه يتكور فوق الرصيف فى تخاذل حقير :

ـ « لقد عرفت الآن أن آدم طرد من الجنة لانه مزيف .. وسلالته حتما هى سلالة المزيفين (تأكد الله من هذه الحقيقة فتواطأ مع حواء لطرده من الفردوس وخيرا فعل) ..

ـ « أيتها المخادعة تعالى .. إنى أريدك .. رغم ..

ـ « اسمع كلمة أخيرة .. الجنة مازالت تغرى عقول الضباع مثلك ، انمـا أقول لك ، ليس هناك أية جنة مطلقا . هى خدعة قدمت للاغبيـاء ليلتزمـوا الصمت . ليهبوا حياتهم وسواعدهم للسفاحين الاذكياء .. لا جنة لمن أمست حياته أرخص من سجارة أمريكية .. ومصيره تتلاعب به نقطة نفط عربية . ونزاعات وتقلبات فكرية !!!

ما زال الجميع يرقصون فى جنـون . يتمايلـون فى هستيـرية متمـدنة . الأقنعة تتدلى فوق الوجوه الممسوحة الهوية . الهـوس يكتسـح العقـول . الفوضى ترتدى الحركات فى عصبية متقونة . أصوات مجهولة تفرقـع فـى الفضاء ، رصاص خفى المصدر يحصد الاجسام الحية الميتة . الجثث تتكدس على الثرى . تبتدىء مذبحة الجنون مزغردة فى عرس الضباع . ذعـر .. رعب ..

ذهول .. الآقنعة تتقاتل فوق التراب المبتل بالعرق والمطر المنهمر فجأة من السماء .. ضباع .. خرفان .. ابن آوى .. الكل يتزاحم بلذة شنيعة .. مال على الضبع الفاقد الشخصية :

ــ « هيا بنا نترك خلفنا صخب المزيفين .. حيوانات مغللة ، هذه هى حقيقتهم .. لقد انتهى الاحتفال بالاله بفجيعة .. أقسمنا أن نهزم الليلة مارد الجوع .. نخنق أشباح الفاقة .. نحرق عفاريت الكبت .. نطعن زواحف التفرقة العنصرية .. نقرن الواقع بالخيال .. الزيف بالحقيقة .. الفضيلة بالرذيلة ، فنكون قد شيدنا بذلك هرما للسعادة الوهمية التى نطاردها منذ نشأة الخليقة .. انما ..

أركله باحتقارى ودوى الرصاص الخفى المصدر يطن فى رأسى ، متقطع الآهات ..

ــ « أيا أنموذج إنسان فاقد الانسانية نسيت أن أقول لك أنى كاذبة حين ادعيت أنك محترم . ضفادع الرجس تنقنق بأعماقك .. ألا تسمع نقيقها ؟ أم أنت تستمع بصداها الفاحش النغم ؟ حاولت أن أجرب فيك نصل خداعى لا غير .. ما ذنبى أنا ان كنت قد خلقت خطأ ؟ شبه ذكر دائب السعى عن شبه أنثى .. فلتغرق إذن فى هوة أشباه البشر ..

دعنى الآن أواصل طريقى السرابى .. لا بد أن ألتحق بقطار مبادئى .. لن يثنينى ضباب الانواء . لن تفت من عزمى دسائس المخادعين ..

ــ « ما الدنيا الا خدعة دنيئة .. والحياة وهم موحش يدفعنا من حريق لحريق . تعالى نفر من هذا الزمن المشحون بالمآسى المبتكرة .. تعالى نفر من قماقم الخيبة .. من زنازين النكسة .. تعالى نرتم بين أحضان الليل . فالليل رفيق الغرباء » ..

أبحث عن طريق للخلاص والرعود تقصف مزغردة تقدم الولاء : لاله التذبذب الشامخ الهمة رغم فجيعته . تلفحنى أبخرة من فم ضبع خرافى البشاعة .. أهرب وخلية من الضباع تلاحقنى .. متى ضاجع ضبع ابن آوى ؟؟ هل أقبل هذه الازدواجية ..؟

أمزق قناعى . أتلفع بهزيمتى .. يراودنى دعاء أجدادى المعقد النية .. أغوص أنا والليل فى غلائل الغوغاء وهى تستجدى إله التذبذب كى ينتشلها من سنين الرعب الآتية .. وانهيارات الذل الباقية ..

الى الآن ما أزال أنبح !! عفوا . الاجدر بى أن ألتزم الصمت .. أنا أرخص من سجارة أمريكية . وأقذر من الجبن المتعفن الذى صادره المستغلون سنوات قبل أن يباع فى السوق كبضاعة مستوردة لا كما جاء إعانة دولية !! أنا حيوان مطارد بلا مصير .. بلا جنسية .. تجذب خيوط حاضره ومستقبله نقطة نفط عربية .. تقيده ترهات ومطامع خرافية .. أنا عبد النزوات العالمية .. الصمت قدرى . الانحناء قبلتى . ما ذنبى إن جئت فى عصر أصبح فيه العبيد أسيادا والأسياد عبيدا .. الخرفان ذئابا .. والأرانب ثعالب .. والكل يترصد الكل فى الشوارع الخلفية . جريمتى ؟! وما جريمتى غير أنى ولدت فى أدغال غابة إفريقية !!

لن يهمنى الآن أن أتساءل هل لمعاناتى بقية .. ما دمت أعرف أنى سأبقى أبد الدهر نطفة زئبق تتلاعب بها الاهواء الشخصية .. ومهما يكن فقد خسرت القضية .. خلقت لأخسر كل قضية !!

حتما لا بد أن أصمت .. لحظة سيدى سأمتص بقية سجارتى التى قيل هى أغلى منى . تدخننى أم أدخنها ؟ غدا تشترينى أم أشتريها ؟ لا يهم .. بل لا أدرى .. لكن هل بقى شىء يهم الآن ؟ هل هناك من يعرف شيئا ؟ لو ألقيت سؤالا من تراه يستطيع أن يجيب بكذبة .. أو بخدعة ذكية .. من ؟؟ من ؟؟

حياة بن الشيخ

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

خير حياة ما جاور الموت فيها الحياة .

* * *

رب نظرة هي في صميمها ملاطفة ومداعبة بل قبلة مختلسة تلم بمحاسن الوجه إلماما .

* * *

قوى جبان وضعيف جبار بينا هو يساورك هائجا متنمرا يكاد يأكلك بضراوة عنفه وهول وعيده اذا هو يتهافت كالكلب يلتبط بالارض فرقا واستخذاء .

* * *

في باطن كل كاتب مصحف حتى لا يني يخط عليه ويرسم ، عن وعي وغير وعي منه ، حروفا غريبة مجهولة .. لغة عجماء ممتنعة ؛ وكأن نفس الكاتب في لحظات الخلق صحيفة قلقة لا تثبت على حال ، تشف حينا نصاعة وبيانا فينقل عنها في يسر وطلاقة ، وتستبهم حينا آخر وتنغلق فيجهد في التماس إشاراتها والكشف عن رموزها ، وكأنها المثال القائم بازاء الرسام يلتزمه تارة متحريا إياه أمانة وإكبارا ، ويتحداه طورا متعمدا خلافه ونقضه حتى لكأنه قد ولاه ظهره ونبذه نبذا كفرا به وتجديفا .. حرية وإبداعا .

* * *

أجيال وأجيال من النسوة عندنا منعن من الحياة لا ينظرن اليها إلا من كوى سجن الأمومة !

* * *

لو علم الحاسد بما في نفس المحسود من زهد في فضله واستصغار لشأنه وتطلع دائم مضن الى حال أسمى وأكمل لتفطر قلبه حيرة

وأسفا .. يريد أن يسر بشقاء غريمه فاذا هو يزداد بذلك لوعة وشقاء ...

* * *

أناس يدعون معرفة كل شيء خوفا من أن يفطن الناس الى جهلهم كل شيء !

* * *

لعل شاهد أصالة الفكرة وعنوان قيمتها أنها تبرز ، حال خروجها الى النور ، وكأنها مهيأة بعد للحياة قد أودعت من الحرارة والقوة ما تستوى به نضجا واكتمالا ، وتتخذ شكلها النهائى الحاسم دقة وصفاء .. حرية وانطلاقا .

* * *

يا لقلب العاشق المسكين افتقد شخص الحبيب فاذا هو يتعلق بطيفه ، ينضم الى روحه أقرب فأقرب ، يريد أن ينفذ فيه ويخلص اليه اتحادا وفناء .. كالقط الودود ملتصقا بسيده يتخلله شوقا الى الدفء والأنس !

* * *

افكار تطفو على سطح الوعى وتظل هناك لحظة لا تريم .. كالدمعة الحبيسة المعلقة لا يؤبه لها .. كالجرح المفتوح ينضح فى صمت وسكون .. كالقطرة من الماء تهفو الى الشارب تترقبه فى لهف وحنين ...

* * *

لقد ثقلت ثم ثقلت يا هذا وأنت أجوف خلاء تكاد تمحق النفوس غلظا وكثافة !

* * *

حالان من الانطواء والانغلاق تعيشهما المرأة لا أشد منهما اختلافا ...

انغلاق الفتاة برعما زاخرا بالوعود .. موسما سخيا بالعطاء والحياة ..

وانغلاق العجوز كالشن المتغضن المتقبض لم يعد يغنى ولا يشفى من ظمـأ .

★ ★ ★

الشعور رائد للعقل ودليل يحفزه ويوطىء له الطريق .. رائـد لا غنى عنه ولا بديل ، وكأن شأن من هجم على أسرار الحيـاة بالعقـل وحده دون تحسس ولا تلطف ، ولا مناغاة ولا استئذان شأن الرجل يأتى المرأة طروقا فترفض أن تلين له وتسلس ولا تمكنه من نفسها لأنها لا تراه لذلك أهلا .

★ ★ ★

ليكن كل بشر أخا لك أو أختا وأما وصديقا حميما .. امرأ محرما تعف عنه تنزها وإجلالا ...

نفس واحدة أنتما .. كائنان اشتبها والتبسا حتى كأن قد صيغ كل منكما من الآخر ، لا مفر لك من ذاتك ولا إنكار لحقيقتـك فكأنـه أنت وكأنك هو ...

★ ★ ★

أى فرحة .. أى سعادة لو استطعت أن تصنـع قصيـدة كثمـار الارض طيبا ولذادة.. بركة ونقاء.. ثمرة لا يعتريها الفساد أبدا !!.

ولتكن كل كلمة ، كل مقطع فيها حبة من الثمر .. قطعة تنضـح حلاوة وعافية .. كل جملة فيها تحفة من الثمار روعة وكمالا !!

★ ★ ★

بعض الطيبة إجرام .. محض إغراء بالشـر واستثـارة مبـاشرة لنوازع العدوان المتأصلة فى الانسان ؛ وسيان عندها الظالم والمظلوم كلاهما للآخر شريك ، ما جهل هذا وعتوه وطغيانه إلا من صمت ذاك وحلمه وقعوده !

★ ★ ★

خير الادب ما كان ثمرة الحب .. حب الكاتب للغة والحياة .. علاقة عشق يلتذ فيها كما لو كانت اللغة شطرا من الحياة تغريه بها وتدنيه منها أكثر فأكثر الى غاية الوصال والاتحاد .

البشير المجدوب

عويشه ... يا الزين البــرقي !

قصة : الصادق شرف
(أبو وجدان)

ما زال الاطفال فى قريتى يركبون لها مهرة الريح .. تائهين وراء شبحها العابر لا يستطيعون اللحاق به ولا هو يستطيع الخلاص منهم .. يمر لاهثا باعتاب السمر الدافىء وجهها فى ليالى المطر ينضح باردا كعاطفة الجليد . تزرع الايام القاسية على محياها الرخو آثار اقدامها فتمتد عليه طرقات متشابكة حتى تبدو فى خضم تجاعيده كوجه أرض مر عليها طوفان عارم وهى نائمة فأصبحت رقعة يرسم السيل عليها مخططات التآكل والانجراف . طالت قامتها حتى النحافة . غارت عيناها حتى التحفر . غربت وسامتها السمراء حتى لم يبق منها الا بعض ظلال باهتة لجمال كان يزخر بالاحداث والذكريات منها ما يهفو لها القلب فيقفز بعواطفها الى الامس السحيق . ومنها ما يمزق القلب خرائط الذاكرة فيه وينتعل حذاء النسيان . ولاسباب غامضة قطعت بين شعرها والمشط علاقة الود التى كانت بينهما قائمة يوم كانت تقوم من سريرها على أول صوت يهتف بها من وراء ستائر الفجر . من وراء قمة الامل الرابض على مشارف العشرين .

واليوم وقد انهك التطواف قلم الشفاه . وحقة الطلاء الوردى . ومرآتها الصغيرة المستديرة كشمس المغيب.وانهك المغيب المشط حتى الجذور من اسنانه فلم يعد يقوم بلعبة التخدير على مستوى شعرها . فلا الشعث يفارقه بعد اليوم . ولا اللون الرمادى يتراجع عن الانتشار ليمسح كل مساحة بين يدى نساج فى كبة من الصوف خيوطها السوداء تترك المسرح لممثلين آخرين ما اعتنقوا منذ اللحظة الاولى غير الصراحة والوضوح فى رواية المصير المحتوم .

كانت واحدة التطواف والهدف غامض ، واحدة النزوح والمصدر غامض ، واحدة الاستقرار ومسكنها معروف من كل ابناء القرية ، مشار اليه بالذقن ..

هناك حيث يمد الوادى الصغير اعطافه فى الشتاء الخصيب .. وتتقلص عضلاته كلما هم الصيف باغتياله المشروع .. هناك كان كوخها قائم الذات ، وذاتها فى الكوخ ما زالت قائمة الحضور .. والليل الدامس يؤثث انفرادها على مستوى كوخ يتقوقع التبن فيه ، وتتحد الاخشاب وأوراق الشجر فيه بالطين . ويزحف السوس على أوتاده من خلال شقوق الباب ، ألواح صناديق التمر التى شاءت المسامير أن تقيم بينها لحمة عضوية فلم تفلح . فاصبحت الفرقة بين الألواح نوافذ يطل منها الحزن على الخارج . ويسرح فى الحقول الممتدة حول الكوخ خاطره حتى اذا أحس بأصابع الجاذبية تأخذه اليها فى اشفاق غامض خرج باحثا عن عمل فلاحى بين هاتيك الحقول . يخرج فى شكل امرأة نحيلة . لا تعشق رغم نحالتها الا الاشغال الفلاحية . جسمها لا يرهب المشقة . ولا يميل الى العمل فى المنازل .. شىء غامض فى ذاتها يميزها عن النساء اللائى كن ضحية اختلاف الليل والنهار ، فاصبحن متنقلات بين بيوتات الناس خادمات . غاسلات .. ماسحات .. منظفات .. مـ .. مـ ..

الا ان هذه واحدة التطواف .. واحدة النزوح .. واحدة العشق .. عشيقة الحقل .. عشيقة الارض ورائحة الارض من كل رئتيها حيث يمتزج الهواء الطلق بانفاس الخريف .. وبخار الشتاء .. وروائح الربيع .. وغبار الصيف فيملأ ذلك صدرها شوقا لرؤية السماء فسيحة كرحمة الرب .. حبا لملامسة التراب مبللا بالدموع كمنديل الرحيل الآتى . هكذا كانت تمييزا ذاتيا بين كل هؤلاء الذين ينتشرون على مستوى القاعدة فى طوفان من العرق المالح .

هكذا كانت (عويشه) تعيش المسحاة والمعول والمحراث والاعشاب الطفلية والعرق الراعف من صدرها وجبهة الكادحين . كل همها من الوجود بعد ان نزحت عن وجودها الاول هو ان تظفر برغيف ولو أسود .. وجرعة ماء ولو مالحة.. ونشقةهواء وهذه لا تريدها الا نقية صرفا تستنشقها حتى الامتلاء وتنفثها زفيرا اشبه ما يكون بصدى آهة تفرخ من عش الماضى الساحق المسحوق ثم تطير قادمة مع العاصفة الى حاضرها الاليم سحقا له من حاضر مشبوه .

هكذا كانت عويشه لا تقبل التغيير المشبوه كملابسها التى لا تقبل التجدد . تطول الفساتين وتقصر .. وملاءتها واحدة القيس .. تحمر الفساتين وتبيض وتزرق ولكن ملاءتها واحدة اللون . زرقتها الداكنة يغرق فيها الاسود والاحمر وهى صامدة الجلال . تشدها الى صدرها حلقتان من الفضة كانتا لامعتين لولا ترسبات عصور الانحطاط التى عملت جاهدة على طمس النقوش

فيها هنيهة من الزمن العابث. الا ان عيون الاخصائيين فى الكشف عن الكنوز قامت بغسل الحلقتين من الصدأ المؤقت فاذا بالزخرف الذى يبرقشهما أصيل لا يترك مجالا للشك فى ان لابسة ذلك الجنس من الحلى لا يمكـن أن تكون الا حلقة من سلسلة عزيزة اذلتها نكبة البرامكة المعاصرين ..

ظهرت عويشه على مسرح الحياة فجأة بين هـؤلاء القـابعين تحت الجـدار صبيحة كل يوم فى انتظار تحركات السوق فى هذه البلدة الفلاحية منذ أبعد العصور ، الممتازة برخاء الحياة فيها ، تعطف على الغرباء وتستقبلهم بالاحضان ولو على حساب الاصول ، تزرع المشاتل فيها والخصب البرجـوازى الصغير ينميها وتعينه المواسم الفلاحية على استقبال (الهطايا) ، ولا تغتال اقامة البعض منهم الا نهاية الصيف ، فيسبقون قدومها الى حمل اكياسهم مليئة والرجوع بها من حيث أتت فارغة ، الا ان عويشه التى جاءت كغيرها واحدة . لم ترجع كغيرها من حيث أتت لان الخصب البرجوازى الصغير احتضنها حقله وأغرتها عاطفة الامومة بالقدوم اليها فى كوخها الجديدة كما أغرت غيرها بالرجوع الى اكواخهم القديمة فارتحلوا مع انسحاب الصيف .

اخذت عويشه تستقبل الخريف بمسحاتها عند مشرق الشمس تحت الجدار القزم قرب مقهى املكار فى سوق هذه البلدة الفلاحية منذ أبعد العصور . لم تشرق الشمس بعد على « الموقف » المكان الذى يتواجد فيه العامل اليومى منتظرا من سيأخذه الى حضيرة البناء والترميم ، أو الى حقلـه أو الى غـرس الزيتون طمعا إما فى سواعده المفتولة العضلات وإما فى وسامة وجه الآخر . وكانت عويشه واحدة من بين الوجوه التى انشربت وسامتهـا السمـراء أو كادت .. لم يمنع ذلك من وجود أحد عشاق انتشار شمس الغروب .. فدعاها مع ثلة من رفقاء لها فى النضال اليومى . ساروا جميعا فى ركاب ذلك الخصب البرجوازى الصغير فى صمت متقطع ..

كانت عويشه بينهم تسير حافية النعل تجره فى أنوثة كاسدة فى سـرعة شبح يكاد يختفى لخفة حركات اللفتة فيه . وسرعة التنفيذ على مستوى الشغل. كانت تلتقط حبوب الزيتون المتناثرة حـول الفـرش التى تحيط بالشجـرة كالهالة حول القمر الاخضر . كنت لا تسمع الا خشخشة الاغصان اذا تلاحمت فى تباطؤ وانفكت طائشة لا تتجاوز الحد الذى تشدها اليه الزيتـونة الأم .. كنت لا تسمع الا تساقط حبات المطر الاسود وفى كل حبة قطرة خضراء تبلل السفن الراحلة ..

ترحل مع المساء زرافات العمال عائدة الى القرية . الا عويشه فهى واحدة البقاء فى غرس الزيتون حيث سيقام لها مسكن كوخوى على مشارف الغرس قرب واد صغير يمر بالقرية ويعبرها ولا يلتفت الى الوراء بعد ان خلف خلفه شجرة خروب عجوز تتصابى وفى اسنانها جيل كامل من الاطفال الخضر الوجوه يتساقطون اذا اسودت وجوههم على كتف الكوخ الذى ما زال قائم الذات تحت الخروبة وما زالت فيه عويشه قائمة الحضور .

وما زال الليل الدامس يؤنث انفرادها فيه . وما زال الاطفال فى قريتى يركبون لها مهرة الريح .. هائمين وراء خيالها العابر فلا هم استطاعوا اللحاق به ولا هو استطاع التخلص منهم .. ولم تكن عويشه اسطورة ولكنها كانت البطلة التى ما تزال تنقف كاللهفة للمجهول فى احلام الرجال الصغار .

كان الكوخ لا يفصل بينه وبين سياج يحيط بالحقل من الدرق الشوكية الا خروبة عجوز لا يفصل بينها وبين طريق فلاحية تمر بها قاعدة الكدح ويعبر عليها اخلاء الارض الوادى الى بحيرة العرق المسكوب على رمال القاعدة وكانت عويشه من بين العابرين مرة الى بحيرة العرق واخرى الى النهر نفسه حيث احتفرت لنفسها غديرا ضئيلا يتجمع فيه لها من مائه ما يبل الريق ويشل الضيق ، ويجسم منها للرائى تمثال النظافة .. والتعاسة تتمناها ان تكون لها التمثال فتأبى عويشه ان تكون تمثالا لغير ابتسامة ذابلة ، وفى ذبولها مغزى، وفى المغزى أنين الانسانية المعذبة .

بتلك الابتسامة ذات الظلال المتكسرة تحت وطأة نعل الحصب البرجوازى الصغير الذى آواها حقله .. بتلك الابتسامة كانت ترد على كلمات العطف ، والتأدب الهادف . كلماته ما زالت ترن فى سمعها :

– أنت وحيدة ؟ يا لقساوة الايام !.

فقدت المأوى فى ظروف الترهل الاقتصادى ؟

جئت تطرقين أبواب الرغيف الهارب منك كالأمل المنتحر ؟

وجهك ظل ينزح عن جدار الارتياح قبل مباغتة الشمس له فى عقر داره ؟

فى كنف الغموض الكامل ارتطمت ساقك بالصخرة سال الدم من اصبعك ؟ قطعة منه انفصلت عنك لتلتصق بالصخرة الناتئة ؟

يا لقساوة الايام !

نعم ..؟ ماذا تقولين ؟

قبلت ان تكونى حارسة هذا الحقل ؟

حسنا .. الخير لن ينعدم ما دامت الشمس ملتفتة لعشــاق الغــروب حتى الانتشار ..

وجاء المساء باردا كالانفعال المفتعل ، فاذا بالكوخ تحت الخروبة .. واذا بالخروبة تنحنى فى اشتياق الى رؤية الوادى وهو يمر من تحت نافذتها خائر القوى .. متقطع الخرير ، فالصيف قد انساه هدير العنفوان فبدأ فى سيلانه الرقيق كجرح الالم فى صدر الارض ينز قليلا قليلا ، ويعبر فى ارتخاء تلك الحفرة التى نبشتها فأس عويشه ونصبت على حافتها حجرة ذلولا لتكون موطىء قدميها كلما اقتربت من الحفرة تملأ جرتها الظامئة للحياة قبل الرى ، تملؤها حفنة حفنة ثم تحتضنها فى عطف .. وتستقيم بها واقفة كأم تحتضن طفلتها الوحيدة والحجرة تحت قدميها والجنة تحت أقدام الامهات.. تجاوبت لها اصداء نفسها .. ثم تلاشت الاصداء الا صدى جد ضئيل كان يقفز خارج ذاتهــا .. فتردعه بصرير اسنانها .. وعاطفة الامومة تولول فى ارحامها حتى النباح .!

ـ وتحمل الجرة بين أحضانها فى طوق من الحنان الحالم .. وتنتصب واقفة على الحجرة فتهمس لها ذاتها : نعم أنت أم الآن وهذه طفلتك بين احضانك .. وهذى الجنة تحت اقدام الأمهات ..

نعم ولماذا لا أكون أنا أما حنونا ؟

ـ ماذا توشوشين لنفسك يا عويشه ؟

يالك من واهمة واهية .. أنت واحدة الوهم والجرة بين احضانك .. وأنت واحدة الطموح ولكن تحت قدميك حجرة كى لا تغرقين فى أوحـال الــوادى فيكون ضياعك فى عاطفة الامــومة كضيــاع بــدوى فى زحــام المتنــاقضات الحضارية .

وصلت الى الكوخ عائدة من رحلة ورود الماء.. والضياع يحمل بين أحضانها جرة تقطر عرقا لاهثة الارحام .. اسندت الجــرة الى جــذع الخــروبة كــرأسى مسافرين أتعبهما التطواف والعطش قد لا يطفئــه المــاء .. مـــالت الى زاويــة مظلومة من حياتها ودخلتها وكادت لا تخرج منها لولا رسول صبى جاءها من الحصب البرجوازى الصغير بقدر قديمة . وماعون من الفخــار تآكــل طــلاؤه الاصفر فبدأ كقبضة الابرص مخدوش الكرامة .. وملعقة تحمــل على كاهلهــا تاريخ الخشب .. وحصير من الحلفاء تحلف النار بانها لم تجد طعما احلى من ذلك الحصير عندما صدمت كرة ذلك الصبى الكانون فقلبته حتى الرماد فاذا

الجمر كومة لم يخرج من تحتها الحصير الا وعلى خده سوسة نار سوداء مثقوبة الشفـاه .

ومن ذلك اليوم بدأ الكوخ يستقبل الرسل وكل واحد تختلف رسالته عن الرسول الآخر .. فاذا الكوخ اديان شتى واذا واحدة التطواف شتات..وواحدة النزوح والاستقرار يعرف مسكنها كل أبناء القرية..مشار اليه بالجنون.. وكل ابناء القرية كانوا من قبل لا يعرفونها الا عائدة من الحقول مع المسـاء وتحت ابطها رغيف يقطر عرقا .. وانفها ينز رعافا .. والحباز يتنـاثر على تضاريس خطواتها .. فتجمع شتاتها امام باب صاغه النجار من ألواح صناديق التمـر حلاوة لزجة لا يستطيع الذباب التخلص منها اذا التصق بها ، ولو أراد الذباب ولوج الكوخ لما صده ذلك الباب الواهى .. ولكن ليس فى الكوخ ما يحـرك شراهة الاطماع ! ولا شيء فيه أغلى من عويشه نفسها اذا كانت هناك ! حتى اذا غادرته غادر كل شيء معها الكوخ . فغطاؤها الليـلى هـو تلك الملاءة التى تعتنقها ليل نهار كما يعتنق الدكتاتور تعسفاته .. وذلك اللحـاف الصوفى الأسود المخطط بالأحمر لا يتخلى عن كرسيه فوق كتفيها الا عندما يغرقها الشغل في بركة العرق المالح فتفسخه عنها كما يفسخ الثعبان ثوبه عنه في موسم الخصب.. وتكدسه تحت شجرة لا تعرف النزوح أو بين تجاعيد الارض المحروثة بكرا ، وكلما نأى بها الشغل عنه عادت اليه فى لوعة وقربته منها كما يفعـل ابنـاء الامراء بكلاب الصيد البرى .. وقد لا تتوقف عن رحلة التعب الا لتضع قطعة واحدة من السكر فى كأس شاى أسود كالقطران تصبه اذا انطبخ فى حلقهـا جرعة واحدة كالسم فى حلق كليوبطرا على عرش الارهاق فى لحظـة تصفيـة الحساب الذى لم يصف بعد .. حتى مساء هذا اليوم .

كانت الشمس فى مشنقة الغروب.. والعصافير تغتال انغامها ببنادق الليل. والعمال يزحفون خلف حصان أدهم يمتطيه الخصب البرجوازى الصغير . حتى اذا تفرق كل فى طريقه قالوا لها :

- على خير يا عويشه .
- بالسلامة يا عويشه ..
- بكرى غدا الى الموقف فلنا لقاء !
- ومقهى أملكار .. وطست النـاستلى الابيض يا عويشه لطبـخ الشـاى الاسـود .
- والمساء سيقيم لك عرسا حول الكوخ يا عويشه ..

أما الخصب البرجوازى الصغير فقد هتف بها وهى تدب وراء حصانه الأدهم ، قائلا :

ـ لقد ارتحلت عنك مآتم الماضى..فلينسق الحاضر بينك والمستقبل مراسم الزفاف الآتى فانت ستصبحين أما يا عويشه وعاطفة الامومة لها فى أرحامك اعراس .. فالجنة تحت أقدام الأمهات ..

الاطفال فى قريتى ما زالوا يركبون اليها مهرة الريح حتى يمطرقها الغفران والسلم يتخلى عن أداء ما خاق من أجله .. أوصدت الباب على نفسها . أوصدته ولم تخرج ككل مساء لتجمع الماء والحطب .. لتطبخ القدر وتأكل المقادير .. لتودع فلول الشمس على اطلال السحاب الوردى ثم تدلف الى وحدتها وتستلقى على اتعابها .. وتنام حتى مطلع الفجر غطيطا حتى يجف دوى البحر عبر يقظة الحياة من جديد . هكذا كانت قبل أن يحل بها مساء الغفران .

المساء .. المساء .. وقد خالف فيها هذا المساء كل الاماسى .. وخالفت فيه كل العادات .. فقد دخلت الكوخ واحشاؤها ترف .. كانما بها قد استيقظ الوجود كله فيها..كانى بها لا تحمل هذا المساء رأسها ولكنها تحمل بين كتفيها قبة الصداع على كتف الاجهاض المبيرالى..كانى بها تصارع نابا نخرا بلا أنين، وتحشو فيه خرقة مضمخة بالكحول وتهرس فى مسامه حربوشة من الاسبرين ولكن الناب النخر ليس حربوشة حتى يسهل ابتلاعها بجرعة ماء من نهر الجنون .. كانى بها والداء يصارعها فتصرعه .. وآلام تشتد بها والغربة آخر ألم يكتشفه العلم الحديث .. وكانى بها .. وبها .. ما بها .. كل شىء قد يكون بها وقد لا يكون بها أى شىء . ولكنها لم تخرج من كوخها بعد ان أوصدت الباب الواهى على عواطف الامومة فيها .. وقد أخذ الليل ينزل ثقيلا ثقيلا .. يتكبب على نفسه . ثم يضغط بصدره على صدرها ويقحم عانته فى عانتها عنودا ملحاحا فلا الرفض يرحم ضعفها ولا أرحامها ترفض قوة الخصب فيها.. تتجاوب فى أعماقها الوحشة .. تتوزع القرية شتاتا على مساحة الوصمة البكماء .. مساحة الصمت يحرثها نباح مفتعل لبعض كلاب القرية ..

مر الهزيع الاول من الليل ساخرا بكل ما فى الوجود من قيم ، والبدعة تندق مسمارا من النقمة فى خاطر عويشه .. والواح صناديق التمر تتهكم بكل المبادىء التى رسمها هذا لنفسه قيما سمحاء وهى لغيره قوانين يعاقب كل من خالفها بالسجن .. أو بالاشغال الشاقة مدى الحياة .. أو بالاعدام رميا بالرصاص أو شنقا بحبل كان ذلك الخصب البرجوازى الصغير يوثق به احدى

بقراته حين يطيلها فى مرعى من العلف الاخضر ، وتمر عويشه بالبقرة والحبل فتتمنى ان لو كانت بقرة ترعى ذلك العلف الاخضر حتى ولو توثق من كراعها بذلك الحبل الجديد ..

انه ما زال جديدا ، حلته من الموثق وحلت البقرة من وثاقـه لهـا فاقبلت عليها البقرة تشكر لها صنيعها الماجد ، ضحكت البقرة لعويشه ثم قهقهت حتى سقطت من حلقها كتلة من العلف المهرب لوقت الحاجة ، والحبل ما زال جديدا فلماذا لا يهرب مع عويشه لوقت الحاجة هو الآخر .؟ التف حول ذراعها .. ثم تلفلف مختفيا فى ملاءة واحدة القيس واللون والزرقة الداكنة .. وارتحل عن المرعى وترك البقرة فى رحلة الحرية تقفز بها الامواج عبر بحر اخضر كالسفينة بلا مجداف . امعاء الحبل تتقيؤها ملاءة عويشه فى زاوية من الكـوخ وتستلقى طويلة نحيلة على الحصير ذى النافذة السوداء .. وأصابع يديها شباك تحت رأسها يطل منه التراب حبيبها على ما يجول فى غرفة دماغها ، فلا يـرى غير اشباح ترقص بنعش فوقه جثمان الامومة والكوخ تابوت والاغتيال ينتظر على قارعة الليل الضحية .. وفى يد الامام شمعة تربط بشعاعها الباهت بين عينى عويشه وخيط رقيق يكاد لا يرى تتأرجح فيه عنكبوت بلهـاء ، تصعـد فيـه وتنزل منه باحثة عن نهاية الخيط .. بلهاء ما دام الخيط يمتد منها .. بلهاء ما دامت لا تدرى انها للخيط النهاية .. وتمنت عويشه ان لو يمتد منهـا خيط يشدها الى أى سقف كان حتى ولو كانت فى ذلك النهاية لهـا .. وتحـركت فيها عاطفة الامومة .. ولكن انى لها ان تصل ولو الى اقصر سقف من كل هذه السقوف وهى قناة طويلة من الرغام ملتصقة بالقاع والبرد يقضقض عظامها ولا يشبـع ؟؟؟

ظلت عويشه ساهمة لحظة من الزمن تحفر ذاكرتها الذكريـات فتستـوى جالسة ودماغها غرفة للعمليات الاستعجالية يرن فيها جرس الهاتف ملحاحـا فتمد يدها فى ارتخاء ، والسماعة تزوغ عنها ، والجرس يواصـل الـرنين .. والعنكبوت تواصل الصعود والنـزول فى خيط يخـرج من بطنهـا ملتصقـا بالسقف وعويشه ملتصقة بالقاع ، وجرس الهاتف يـرن ويدهـا تبحث عن السماعة فتظفر بها أخيرا . وأخيرا تظفر بها وتربط بهـا عـلاقة متينـة بين سمعها وشفاهها . آلو .. آلو .. لو .. لو .. لو .. و .. و .. و .. و .. الريح .. الريح .. الريح ، الرياح ، الرياح .. الرياح .. وما زال الاطفال فى قـريتى يركبون لها مهرة الريح .

ـ يا عويشه !

ـ نعم .. من المنادى ؟

ـ أنا يا عويشه أناديك هيا قومى التحقى بالسقف .

ـ ولكن كيف ؟

ـ تسالين يا عويشه كيف ؟ أأنت أعجز من عنكبوت ؟

ـ نعم أنا أكثر عجزاً منها لانى لا أستطيع أن أفرز من بطنى خيطا يشدنى الى السقف ..

ـ ولكن ذلك الحبل الجديد الذى حررت من قيده ساق البقرة وجئت به صاغرا الا يشدك الى أحد هذه السقوف المتداعية للسقوط يا عويشه ؟

هيا قومى اسرعى فهى مرفوعة على وتد ينخر السوس قوامه .

ـ ولكن يا سيد الارتفاع من يضمن لى انى سابقى مشدودة الى الفوق اذا ارتطم سقف الكوخ بالقاع ؟ من يضمن لى ذلك ؟ وأنا أريد أن أكـون خـارقة لمبدإ الجذب من الاسفل لسقف فوق رأسى .

ـ كلنا على الارض سواء يا عويشه .. فانت اذا وضعت السقـف فى الحـد الفاصل بين جاذبية الارض وجاذبية القمر وصعدت فوقه ثقلا نـازلا اخـذته الجاذبية للارض فالتصق بالقاع .. وأخذتك الجاذبية للقمر ففصلتك عن الارض وانت لا تريدين الانفصال عن الارض .. لا تريدين الانفصال الا عن القاع ..

ـ الانفصال عن الارض جريمة لا تغتفر !

ـ هيا قومى اذن يا عويشه شدى الحبل الى السقف ، تعلقى به ، اجذبيه من أسفل الى أسفل ، نعم هكذا واصلى المعاناة .. فالانفصال عن القـاع لا يكون بالانفصال عن الارض .. ولكن السقف حين يسقط فوق القـاع بينـك وبين القاع يكون الحد الفاصل .

ـ نعم يا سيد الارتفاع ان ما تقوله هو النضج الكامل . ولكنى أريد ككل أنثى أن أتعلق بالسقف بواسطة خيط يخرج من بطنى انسانى الامشاج حتى ولو أكون فداء له وضحية لارادة حب العطاء .. ولذلك سانفصـل حـالا عـن عن الخوف..عن التدلى اذا كان الانفصال طليعة الفجر الاكثر اشراقا.. ولا تنصهر الا المادة فى بوتقة المعاناة . ورافضة أنا وجه الارتياح يا سيد الارتفاع .. دعنى اخصب . فالبدء معاناة ولكن الاستمرار رائدها الخالد .

بدأ الهزيع الثانى من الليل ينفصل عن الهزيع الاول منه ولا يتعاطى الا المخدرات .. كان الكوخ فى خلجة الوعى المتحدة الذبذبات .. فى اللحظة التى بدأ فيها النوم يتعمق فى الابان فى كل الابدان اخذت الارواح تنفصـل فى الابان عن الاجسام فى حركة تصاعدية واخمدت انفاس الشمعدان بقبضة ذات ثلاثين ريحا .

انطلق صرير الباب الواهى وانفرج الكوخ وتهادى شبح يقترب فى ثبات من الحروبة رويدا رويدا وارتفع عن القاع ليرتبط بعتقة عـاتية من الحـروبة بواسطة نقطة الحساسية فى جسده ودب فى الشبح انطلاقا من تلك النقطـة الاحساس الكامل بالغياب عن الواقع السخيف وظل الارتياح الهادىء يغمـر كامل هيكل الشبح كموجة تغمر سفينة وقد قيد الملاح الى الصارى فيها ..

ظلت السفينة تغرق وتغرق ولا شىء يحس فيها بانه يغرق غير ذلك الملاح هكذا ظلت عويشه ترتفع .. ترتفـع ولا شىء يحس بانها ترتفع غير خلجـة واحدة الوعى منها .. واحدة الاتحاد فيها .. واحدة الذبذبة ولكن بلا انقطاع.

وانطلقت فى تلك الهنيهة حشرجة الصومعة تشطر قلب الظلام الواعى الى نصفين .. الله أكبر ! الله أكبر !.. بقى واحد من النصفين ملتصقا بالقـاع خواء وحلق النصف الآخر مرتفعا الى السماء سماء .

الليل يكفنه السواد بعد ان نفخت العاصفة على الشمعة البائسة التى كانت تضىء الحقول فخنقتها الى الابد . السواد تعلقه يـد التـلاشى من شعـره فى السماء فيتدلى جسمه بين الارض والسماء كعنقـود عنب زنجـى زرعت فيـه الشمس تكاميش النضج فبدأت حباته تتناثر وراء حدود مركبة الاضطراب .. كان البرد يحز الاشياء بسكين فيفتتها نشرا على مساحة العاصفة الفجيعة . كل ذلك لم يمنع الفجر الجديد عن الانتشار رويدا رويدا كئيب الطلعة حـول تلك الحروبة التى فيها انجبت شمس المأساة ثمرة تتدلى بين اغصانها مكفنة الوجه فى سحابة من الضباب القاتم .. واخذ الضباب ينقشع قليلا قليلا كاشفا عن جسد امرأة ارتفعت به سواعد الحروبة عن دنس القاع فبدا شاحب اللون بارد المـذاق ..

فى تلك الهنيهة بالذات كان أحد قطاع طريق عويشه يجتاز ذلك الحقـل فيصدمه جدار الحقيقة المعلقة فى الحروبة فيمجد الجمود لحظة لديها.. ثم يخاف التمزق

فيتراجع خائر الغرائز ، مرتجف الاوصال ، هامسا في قرارة نفسه : هذه احدى ضحايا قطاع اللحم . تغادر القـاع بمشيئـة الارتفـاع .. وينسحب تاركـا المسرح لطفل فى العاشرة من عمره يسوق عشرين بقـرة الى المـرعى ، وفى جرابه قارورة حليب ورغيف من الخشكار تقدم الطفل الى المسرح ليؤدى دوره هامسا فى اذن احدى البقرات : انظرى الى هذه البقـرة الاخـرى المعلقـة فى الخروبة تنتظر السلخ اليوم وغدا ستكونين أنت المعلقـة فى المسلـخ الآخـر وتحتك سكين جزار قزم بسكين يسلخ جلدك ويبيعه الى الدباغ ، ويبيعـه الدباغ الى الاسكافى ليصنع للحفاة أحذية تحميهم من وخز الشوك .. وصالى سيرك الى المرعى أيتها البقرة وتثبتى أين تضعين ظلفك فالاشواك كثيرة وقد تصل لاختراق حتى الظلوف .

* * *

واصلت البقرة الى المرعى طريقها ضاحكة الصـورة على علبـة مستديـرة برتقالية اللون بها ثمانى قطع من الجبن يحبها الاطفـال الصغـار اذا مكنهـم الكبار من تناول لمجة المساء فاذا لم يمكنوهم منها فهم لا يعرفـون الا البكـاء والصياح لان الصغير يرى ان الكبير على كل شىء قديـر .. فترتفـع ضجـة الصغار ويتجمهرون فى ساحة القرية منادين : الجبن .. لا تحرمونا من الجبن ـ ماذا سنفعل لكم يا اطفال ؟ من أين سنأتى لكم بالجبن ؟ والبقرة التى كانت مصدر الجبن أخذتها الخروبة من عنقها الخروبة أخذت البقرة من عنقها ؟

ـ ماذا تقولون أيها المجانين الكبار ؟ متى كانت الخروبة تأخذ ابقارنـا من اعناقها ؟ حيلة هذه لتحرمونا من قطعة جبن كل مساء ..

وارتفع نداء الطفل الذى بدأ صوته ينضج :

ـ هلموا جميعا نهاجم الخروبة ونقتلها ونعيد البقرة الى حضيـرة الخصب والعطاء ، فالجبن قوام حياتنا ولا يمكن أن نستغنى عنه بحال من الاحوال ..

وانطلق الاطفال يحملون المعاول والفؤوس والفراشى والمسـاحى لاقتـلاع الخروبة المرعبة واسترجاع البقرة الحلوب . وما ان وصلوا الى الخـروبة حتى بدت لهم البقرة معلقة بحبل جديد فاستلوا المواسى والسكاكين لقطع حبـل المشنقة فاذا البقرة المعلقة لم تكن الا عويشه ولم تعرف الخروبة بعد ذلك اليوم الا باسم : (خروبة عويشه) .

صاح الاطفال الصغار جميعا : يا لها من مأساة رائعة ! الا ذلك الطفل الذى بدأ صوته ينضج فقد تساءل فى هدوء أجش : وهل انتهت القصة يـا خـالى عزيـز ؟

ـ كلا لقد ارتحلت القرية الى الخارج على أصوات حشرجة الاطفـال . على جناح طائر النعى والتأبين وانطلقت اذاعات الشك تعمل جاهـدة على جعـل البلاغات التحريفية فى مستوى الحقائق حتى بلغت تدخـلات مجلس الخيـال القروى فى اخبـار (خروبة عويشه) حد الاسطورة .. ومـا كانت عـويشه اسطورة ولكن مهرات الريح ما زالت تصرخ :

ـ عويشه قتلها قطاع الطريق .

ـ عويشه لقوها مشنوقة وبعض كلاب الصيد الشهوانية تأكل من اليتها..

ـ عويشه وجدوها معلقة من شعرها والطيور الجارحة تنهب بشراهة خيوط امعائهـا ..

ـ عويشه اغتالوا روحها وهذا جثمانهـا منـزوع الاسنـان والاضـراس وقضيب من الحديد مشعب فى بطنها حتى الانفجار ..

ـ عويشه كانت ..

ـ عويشه أصبحت .. والدجاج الاسود الذى ربته حول كوخهـا مـا زال يتجمهر فى الليل حول الخروبة يطلب الثأر ، يعلن الحداد على عويشه ..

ـ عويشه هذا وجهها الاسمر ما زال معلقا فى مأتم الارض من أنفه لا يوحى بغير الوحشة .. وجهها ينبوع للرعب .. يلتصق بكل وجه يمر ، يمر بالخروبة ليلا ولا يفارقه حتى الصباح ولذلك فقد بات سكان القرية فى ذلك الزمن ، زمن الدحر والخطيئة ، باتوا يتحاشون المرور ليلا بالخروبة . لا يقوى أحد منهم وحده على الاقتراب منها .. فالنار رأوها بأم العين مرارا تشتعل تحت الخروبة، فهل يقوى بعد ذلك أحد أن يلقى بنفسه فى النار ؟

ما زال الاطفال فى قريتى يركبون لها مهرة الريح ولكنهم يخافـون منهـا الاقتراب ، لانها مسكونة مسكونة خروبة عويشه .. كانت أمـى تقـول لى : سلال القلوب يسكن فى وسطها فلا تقترب منها ..

كان أبى يقول لى : ... حذار يا ولدى !

وكان العم الحاج الغربي يقول : اقسم لكم بشرفي أيها الاطفال الصغار لن يعود سالما كل من اقتحم وحده في الليل مهابة خروبة عويشه . ارتعدت لكلامه قلوب الاطفال الصغار وما زالت ترتعد منذ أن بدأ يتحدث لهم عن الاغوال والاهوال .. وسلال القلوب والالسنة .. وشراب الشرايين والبق المتطرف .. ارتعدت الفرائص وتشوكت مزرعة الشعر في رؤوسهم ، ولكن قهقهة انفجرت على مستوى الحديث جاد بها عليهم جميعا ذلك الطفل الذى بدأ صوته ينضج ولكن تروس شجاعته كادت تتهافت قطعا من الكرتون عندما زار العم الحاج الغربي معلنا عن جائزة مالية هامة لمن يركب رأسه الى خروبة عويشه ويدق فيها مسمارا الليلة ويعود حالا ... ولجنة التحكيم لا تعرف الخيانة ما دامت الحجة دامغة والمسمار مدقوق في مكان ما من الخروبة حتى ولو خان المسمار الامانة وارتحل عن مكانه فآثاره يمكن أن تراها اللجنة ويمكن لها أن تدخل في الثقب اصبع احد الاطفال الصغار وعند الادخال تتضح الامور وللفائز جائزة البلدية الكبرى .

* * *

ـ فما رأيك يا .. وأنت يا .. وأنت يا زين الشباب أيها الطفل الذى بدأ صوته ينضج ؟

ـ أنا ..؟ أنا لها حالا .. « المانات رائدها الجنون » .. أين المسمار ؟

ـ خذه وأنت واثق من انك مقدم على مغامرة قد تخضب بالزعفران خديك .. هيا دونك والمطرقة فخروبة عويشه في انتظار العريس وعويشه ما زالت بكرا منذ أجيال خلت وما زالت عاطفة الامومة عروسا في ارحامها ...

الليل يكفنه السواد والطفل الذى بدأ صوته ينضج مقبل على خروبة عويشه .. السواد تعلقه يد الاقتحام من شعره بين الخروبة وزين الشباب ، ولم تعد تفصل بينهما الا حدود مركبة الاضطراب .

.. كان البرد يقذف كل الاشياء بوابل من الارتعاش لم ينج منه زين الشباب رغم انه تلفلف باحكام في برنوسه وظل في طريقه اليها .. وظل الارتعاش البردى يلح عليه كلما ألح على المسافة الفاصلة بينه وبين العروس التى تنتظر الفارس العريس القادم ويطول انتظارها فتفارق هودجها اليه وتهم به ولا يكاد يهم بها حتى اذا خاف انحدار رجولته امام أنوثتها .. همت

به وهم بها يقتحم بكارتها بمسماره .. واندق المسمار فى الخروبة حتى الجذور وقام والمطرقة فى قبضته يسل ثيابه من ثيابها فلم تنسل .. كاد يقف منطلقا .. ويهب عائدا الى العم الحاج الغربى على دراجة السلامة فالجائزة فى انتظاره .. كاد يفعل لولا شيء قبض بيد حديدية لا تلين على طرف البرنوس فلواه ، فانفصعت رجله ، وماعت عيناه تخبيلا على وشيعة كالسمكة تتزلق بين عينيه وبين أكف الارواح والمردة والشياطين . وأراد أن يفتك طرف البرنوس ـ والظلام حالك ـ فلم يستطع تخليصه من قبضات المتشبثين به . ففسخ جسمه منه ـ والبرد حالك ـ كما يفسخ الثعبان ثوبه عنه ، وانطلق صارخا والطلق وراءه حلقات من التسبيح ، والمعاناة رائدها الجنون .

ومد الصباح رأسه من وراء البحر فاذا جيده مزرعة للجراح والدم فيها خصب ، جديد الجفاف ، يتبادل التهانى الحارة والقبل العميقة على طرقات القرية مع شاب بدأ صوته ينضج ويهنيء كل منهما الآخر على النجاة من حادث الاغتيال الذى تعرضا له معا الليلة البارحة عند خروبة عويشه . طلع النهار وانتشر خبر الحادث ، صدقه الكبار ولكن الاطفال الصغار فى قريتى ما زالوا يركبون مهرة الريح يريدون الوصول الى شجاعة شاب بدأ صوته ينضج، يجوب مسالك القرية يضحك للريح .. ويغازل الهاتف .. ويستقبل الصقيع بلا برنوس .. وفى يده مطرقة .. وعلى صدره قميص مشقوق حتى العانة .. وفى رجليه سروال يفتح نافذة التطلع على ما فى القرية من ابعاد .

وتوجهت لجنة التحكيم فى ذلك اليوم الى الخروبة لتحل الاسم المحبس عليها وتطلق اسما جديدا عليها فاذا بالبرنوس الادهم الذى كان يلبسه زين الشباب الليلة البارحة حين توجه ليزف الى خروبة عويشه مدقوقا فى الخروبة من طرفه ومن تلك اللحظة لم تعد تعرف خروبة عويشه الا باسم : (خروبة زين الشباب) وقد علقوا فى عنقها لافتة حمراء كتب عليها بالابيض : المعاناة رائدها الجنون ! والاستمرار جنون الريادة !

الصادق شرف

منزل تميم : 29 / 6 / 1977

الى متى ؟

بقلم : الياس قنصل

قالـوا :

– انتم تعتزون بالماضى كثيرا ، وتعجبون له ، فالى متى ؟

أجبت :

– الى الابد ! ولنا بذلك شرف . أليس ماضينا حضارة نشرت بنودها على الدنيا ، فمحت ظلمات بعضها فوق بعض كانت تكبل العقـول وتمنـع عنهـا محاسن الحق فبدلتها خلقا آخر .

أليس ماضينا مبادىء علمت الناس الرفق والاحسان وركزت فيهم مفاهيم المساواة فمشوا على ضوئها الى ربوة العدالة الصحيحة ؟

أليس ما ضينا انجيلا فيه اماثيل عن كل جليل من الاعمال ، وكل نبيل من النيات لم يستطع الدهر أن يمحو شيئا من سنائها ؟

أليس ماضينا قرآنا يضع للاجيال – على مد الفكر – مناهج الخلق العـالى ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مستنكرا للمظلم ثائرا على الاضطهاد ؟

أليس ماضينا عمر بن الخطاب وقد بلـغ أقصى مـا تبلغـه السمـاحة فى المحارب المنتصر . وهل كان موقفه فى البقعة التى اغتصبها الآن المستعمرون الا حلقة فى سلسلة مواقفه السمحاء التى لا تقوم بما تقـوم بـه الاشيـاء فى أسواق المساومة ؟

أليس ماضينا صلاح الدين الايوبى وقد لقن الدنيا - برمتها - معنى الشمائل العربية التى تطل نبالتها فى حالتى السلم والحرب ولا تتقلب وفقا لتعاريج السياسة وطوارىء الحوادث ؟

أليس ماضينا علوما نفخت من روحها فى الجماد ؟

وآدابا استجلت خفايا النفوس ؟

وفنونا هى فيض من الروعة والسحر ؟

انما ..

لا تظنوا اننا بالماضى اكتفينا وقلنا انه الاوحد .

لا تحسبوا انا ضربنا حولنا وحوله مدارا لا نتخطاه ورحنا نستمرىء بطولاته الباهرات .

لا يخطر فى بالكم ان الجمود هو الذى سمرنا فى مطارحنا .

اننا نستعيد الماضى بما فيه من المآثر التى تتبسط فى بريق دائم لنقبس منه درسا لحاضرنا وعبرة لمستقبلنا فيمدنا بمختلف اسباب الوقاية والفلاح .

اننا نستذكره لنجعل مآتينا منسجمة مع عظمته ، شأننا شأن الرجل الكريم الذى يأبى عليه محتده الا ان يكون الرجل الكريم ولو اضطر الى تقديم قربانات من ذات نفسه .

نحن نعتز بماضينا ولنا بذلك شرف .

لان ماضينا ليس بآماد من السنين الخوالى ، انه مراحل متشابكة من الثقافة والمدنية .

لان ماضينا ليس بصفائح من نضال أهوج ، انه احداث متلاحمة من عزة وكرامة .

ان اعداءنا ـ هؤلاء الذين يواصلون حيكان المؤامرات لنتخلف ـ ولو قليلا ـ عن الركب العالمي ، ان هؤلاء ـ ما غيرهم ـ ينظرون الى ماضينا باحترام وتقدير لا لأنهم منصفون بل لان جبروته يلزمهم ان يحترموه ويقدروه .

نحن نعجب لماضينا ولنا شرف .

وكيف لا يكون ذلك ونحن نعاين شعوبا عديدة تتسابق لتزعم انها تمت اليه بصلة قربى ، فتكسب من اشعته انعكاسا فيصبح ماضيها الاجوف مدعاة زهو وافتخار فتحس انها على ربوة تتسدد اليها النظرات الحواسد .

نحن لا نتنكر لماضينا ولو كره المغرضون .

انه معنا في جهاد لا يصرفنا عن هدفه شيء .

انه سجل ضخم للسجايا التي في مكنتها ان تحول هذا العالم الذي يتخبط في حروبه الى جنة تجري من تحتها الانهار .

وسنضيف اليه صفحات مجيدة تؤكد ان الدم الذي يجري في عروقنا هو الدم الذي جرى في شرايين هؤلاء الذين كتبوا سطوره وكانت افعالهم بركة على العالمين ولا تبرح ذكرى لقوم يعقلون ، وستبقى سيرتهم نبراسا يزداد تألقا على مر الاحقاب .

إلياس قنصل

(بوانس إيرس)

اعترافات في الزمن الصفر...

شعر : كمال قداوين

الزمن الصفر !...
اضحت فيه الأشياء مدورة كالصفر !..
كل الأشياء تماما كالصفر !..
يسكنها العهر !..
الزمن الصفر ...
حوصر فيه شبح الطهر !..

* * *

الزمن الصفر رجاله أشباه رجال
ومناه كأحلام الأطفال ؟..
وعبيده تهدى القوم هراوات وعصيا ذات جلال !..
الزمن الصفر رجاله تحميهم من وهج الشمس سحائب افرنجيه !..
ومظلات صيفيه ؟..
لكن نحن وقوف من خلف كالأنذال ...
الويل لمن حسبونا الأنذال !..،

* * *

هذا السد يفيض اليوم ، يثور اليوم ، يدمدم ، لا يحبس ماء !..
في الأعماق ... يفيض الماء

يا ويل القرية من غضب الربه !..
حل الجدب بتلك التربه !..،
لن تصبح بعد اللحظة خصبه .؟.
هذا البحر تقوى مده
هاج ... وماج ...
لما ركب البحر الحجاج
لما أدرك حرب الرده ...
هذا النعمان يلاقينا فى يوم البؤس !.،،
يأمر بالنطع وبالسيف .،
يغمرنا الكل الخوف ..
نلمح هابيل يوارى قابيلا فى غيب الحتف ...
يا خوفى من هول الشده !..
لم أعدد للأمر العده !..

* * *

الزمن الصفر / فى عمقه تسكن أصوات الثأر !..
من عمقه تصعد أصوات تهتف بالقهر ..،
وتبشر بالنصر !..
تهتف وتنادى :
ألف حذار / من حمق الأوغاد !..
لا ترهب سيف الجلاد ؛..
ألف حذار لمن يصفعك يمينا أو يصفعك شمالا !
لا تلق له الحد الاخر ..،
لا تهتف أبدا : أنت الأكبر !..

* * *

الزمن الصفر يناديك ويهتف يا كتل الأحزان ! ،
كونى بركان النيران !..

كونى الموت ، المحق ، السخط الثائر فى كل مكان !.
كونى البرد ، الثلج ، السيل ، الريح الهائج والاعصار ..،
كونى الرعب ، الحزن ، الدمع ، الخوف ، الجرح الراعف من أنف التاتر ..!.
كونى شوكا ... أزهارا بريه ...
كونى كشموع الحزن الليليه ..
كونى النزعات الثوريه !.
ضد الأقوام الهمجيه !..

★ ★ ★

هل تعرف يا زمنى الصفر معانى الثوريه ؟..
حين تفيض براكين الغضب الثورى سيولا أبديه ...
حين يعود لينبض ذاك العشق الثورى فى كل ضمير أو درب ..،
حين يموج سباخا مالحة النكهة والطعم ...
حين يصير الحرف قضيه
حين يزف الحرف قصائد ترسل نارا ، لهبا صار شديد الحرق ..؛
وسماء تدوى بالصعق !...

★ ★ ★

يا ويل الهارب من هذا الصعق !..
يا ويل الراجف من هول الحرق !..
يا ويل الخائف من غور العمق !..
الأرض ترج ، ترج الأرض ، الأرض ترج ، ترج الأرض وتنذر بالمحق !..
فمتى يا زمنى المتجهم تدرك أبعاد الصدق ؟..
ومتى أحضن نايى كى أنفخ وأغنى ألحان العشق ؟..

كمال قداوين

رسم المصحف وضبطه .. كيف يجب أن يكون ؟

بقلم : عبد الرحمن عبد اللطيف

(2)

حذف بعض الحروف (*)

فى هذا الباب يجب ان تحذف الالف الاخيرة من « اللؤلؤ » بالرحمان وكذلك الالف التى بعد التاء من « استيئس » و « استيئسوا » كما نص عليه فيها جميعا علماء الرسم كالمارغنى فى « دليل الحيران » . وكما جرى العمل به عندنا فى الشمال الافريقى فى تونس وفى مصاحف حفص أيضا . ويجب ان نحذف الواو بعد الهمز من « سأوريكم » معا ، وان نرسم « وجنى الجنتين » بالرحمن بألف مقصورة لا بالف ثابتة لينة ، كما يتحتم ان نرسم الكلمات التالية بالالف الثابتة بدلا من المحذوفة او المنقلبة عن الياء ، وهى : اجتابكم ، آتانى الكتاب ، اجتباه فى النحل ، وأرانى معا بيوسف ونادانا بالصافات لن ترانى ، فسوف ترانى ، أراكهم . وقد نص على هذا الوجه فى كل الكلمات السابقة الشيخ المارغنى فى كتابه « دليل الحيران » وغيره . وينبغى أن ترسم كلمة « بأيام الله » (16) بياء واحدة وألف ثابتة بعدها كما يرى غير أبى داود من علماء الرسم وذلك بدلا من ياءين اثنين والف محذوفة كما هى بالمصحف . ويجب اظهار سن الياء فى كلمة « في » الظرفية بدلا من ازالتها كما هى الآن فى المصحف اذ لا وجه لذلك ولا نص عليها .

انه من الواجب ازالة الالف المحذوفة الملحقة على الالف المقصورة فى نحو : الهدى والانثى ويرى وينهى واستسقى ، وذلك لان تلك الالف لا ضرورة لها ولا حاجة بها ولا تتفق مع اصل رسم المصحف العثمانى ولا مع الرسم القياسى بل زيدت فى المصحف دون لزوم ، ويرى ابو داود وابو عمرو الدانى وغيرهما ان حرف المد يجوز أن لا يلحق فى نحو « السوأى » ومنه هذه الالف . ونرى

(*) راجع العدد 7 أفريل 1979 . ص 24 .

(16) سورة ابراهيم آية : 5

ان تلحق الف صغيرة على الالف المقصورة كما هو شأنها فى المصحف فى « ما زكى » وفى « سجى » وفى فعل « يحيى » لان الالف المقصورة فى هذه الافعال منقلبة عن واو ، والاصل فى رسمها بالالف فألحقناها على الالف المقصورة لتدل على الاصل فيها ، وكذلك نرى الحاق الف صغرى على الالف المقصورة ايضا كما هو شأنها فى المصحف فى « يا ويلتى ويا أسفى ويا حسرتى » وذلك لان الاصل فى هذه الثلاث ان ترسم بالالف لانها للاستغاثة ، هذا ونبقى الالف الصغيرة الملحقة على الواو فى الصلاة والزكاة والحياة والنجاة ومناة والغداة وكمشكاة والربوا .

وينبغى ان نزيل الالف الصغيرة المحذوفة من الكلمات الآتية وفقا لاصل الرسم العثمانى وللرسم القياسى الذى لا يرسمها ايضا ، وحيث ان النطق بها يكون باثبات الالف نرى ان توضع فتحة منتصبة عموديا على الحرف الممدود عوضا عن تلك الالف لتدل على مده كما جرى عمل بعض المصاحف برواية حفص المطبوعة فى مصر وايران والهند وباكستان ، واذن فتكون الفتحة منتصبة على اللام فى : إله والهكم والهه وثلاث مائة واولئك ولكن ، وعلى الذال وهاء التنبيه والميم فى : ذلك وذلكم الخ وهذا وهذان وهؤلاء واهكذا والسموات ، وفى توابعها المتصرفة منها نحو : الله واللهم والهنا والهك وذلكما وذلكن وكذلكم ولكنهم ولكنه ولكنا وهذه وسموات وهانتم . وليس من هذا القبيل كلمة : « هاتين وهاهنا » فانهما يرسمان بالالف المحذوفة . ويوضع المد لورش فى « هؤلاء واولئك » على الفتحة المنتصبة على الهاء وعلى اللام ونقطة التسهيل اى تسهيل الهمز على الالف الثابتة فى « هأنتم » لان وجه التسهيل فيها مقدم عند ورش وهو ايضا مذهب الجمهور والاقيس ايضا كما قال المارغنى فى كتابه « النجوم الطوالع » وفى المصحف برواية ورش .

ويتحتم ايضا ان توضع فتحة منتصبة عموديا على لام الالف فى نحو : الاصال والافاق والآزفة لتدل بذلك على مد لام الالف مدا طبيعيا فرقا بينه وبين لام الف غير الممدود فى نحو : الاخلاء والامانى والامانات والاحاديث والاشر وللانام والاليم تلك التى يكثر الخطأ فيها وفى أمثالها فتمد غير الممدودة والعكس . ومن أخوات الاصال والافاق والازفة ــ : الاخر والاخرين والاخرة والاية والايات وحعل الالهة والامرون والاثمين وللاكلين والامنين .

كما يجب ان نرسم الالف المحذوفة الواقعة بعد اللام مستقيمة عموديا فى نحو : السلام وضلال واللاعبين كما رسمت فى مصحف الامام حفص لا منحرفة كما جرى عليه العمل فى مصحف الامام ورش . ويجب ايضا ان ترسم الياء

المتطرفة دائما على اى حالاتها موقوصة أى كألف مقصورة . ونخص الياءات الزوائد فقط بالعقص اى بردها الى خلف ، وتلحق بها فى العقص الياءات فى الكلمات الخمس التالية وهى : تلقاءى ووراءى حجاب ونباى المرسلين وايتاءى الزكاة ومن آناءى الليل لانها زائدة وقفا ووصلا كلها . ولقد جوز كل هذا علماء الرسم القرآنى كأبى عمرو الدانى (17) وابى داود والتنسى وغيرهم . ويجب ان ترسم الباء من « بسم الله » قصيرة عادية لانه لا حاجة لتطويلها كاللام ولا فائدة بها أبدا وانما طولت كذلك بناء على أثر موضوع نبه عليه العلماء . كما ننبه على ان ترسم اللام الثانية طويلة فى لفظ : الله وتالله ولله واللهم وتكون عادية مثل اللام الاولى لانه لا فائدة مطلقا من بترها وتقصيرها ولا يوجد اى نص على ذلك، وانما توهم ان تقصيرها دال على نطق خاص وهى ليست كذلك .

لقد رأى ابو عمرو الدانى وغيره من أئمة الرسم القرآنى سوى اللبيب أن يوصل الحرف الملحق بالسطر وكان لذلك كتاب المصاحف يرسمونها حمراء واصلة للسطر كما نرى ذلك فى المخطوطة منها حتى اليوم ولهذا نرى وجوب ايصال الالف الملحقة الصغيرة الى السطر كالالف الثابتة الاصلية تماما على أن لا تبلغ ارتفاعها تمييزا بينهما وذلك اذا كانت الالف الملحقة مسبوقة بحرف لا يتصل ولا يلصق بها عادة ، وتلك الحروف هى التالية : الدال والذال والراء والزاى والواو والهمز، نحو : تنودان والذاكرين والراكعون والزاهدين ولواقع وقرآنا،وكذلك اذا كانت الالف همزة للاستفهام نحو أإذا وأأنزل فاننا نرى وجوب الحاقها الى السطر مع تقصيرها عن الاصلية فى الارتفاع

كما انه من الواجب على مذهب النحاة ، ان نهمل الياء من النقط اذا كانت صورة للهمز حشوا أو طرفا او كانت ملحقا عليها الفا فى نحو : شئتم وسئلوا ويئس وتليها وجليها والتورية وانجهم ، ذلك ان الاصل فى رسمها جميعا فى هذين الحالتين ان تكون مهملة من النقط كما هو العمل فى المصحف برواية حفص ، ومن الواجب ايضا ان نهمل الياء من النقط ايضا فى : أفاين وفى تلقاءى وفى ايتاءى ونبأى وآناءى ، وفى الياء الثانية من بأييد ومن بأييكم (18) كما يرى ذلك الدانى وغيره ونقط الياء فى كل ما ذكرنا من أمثلة لا يفيد شيئا

---

(17) أبو عمرو الدانى (371 – 444) له كتاب المقنع الكبير والمقنع الصغير والتيسير وغيرها ككتاب أحكام النقط .

(18) بأييد من سورة الذاريات آية : 47 ، وبأييكم من سورة القلم آية : 6

ولا ضرورة له ، وقد قلنا باهمال هذه السبع كلمات من نقط ياءاتها لنشير بذلك الى زيادتها . والضبط الموجود فى مصحف ورش لكلمة بأييد يوهم ان ذلك دال على قراءة خاصة والواقع ليس كذلك لان الياء الاولى عليهـا فتحـة والثانية عليها دارة (علامة السكون) العادية .

فى لام الالف يجب ان يكون القرن الاول منه لاما والقرن الثانى ألفا تبعـا لمذهب سعيد بن مسعدة الاخفش (19) ومن اخذ بمذهبه من المشارقة كما جرى العمل بذلك فى مصاحف رواية حفص ولذلك نرسم الالفاظ التالية ونحوها هكذا : لأيات لأنهم ، اللام أولا ثم الهمز ولا نرسم الهمزة قبل لام الالف فى لآيات ونحوها ولا على القرن الاول فى نحو : لأنهم وذلك لانه يوهم بتغيير ما فى النطق حيث لا وجود لشىء من ذلك وهو ايضا يبعث الحيرة فـى نفـس القارىء المبتدىء اذ هو مخالف للرسم القياسى ايضا .

وينبغى ان تنقط فى المصحف برواية ورش الفاء نقطة من فوق والقـاف اثنتين من فوق ايضا ، كما ينبغى ان لا نهمل نقطهما وكذلك نقط الياء والنون اذا تطرفن جميعا فى نحو : ينفق ويؤمن والعاكف ومعين ، وذلك لنوحد الكتابة بين المشارقة والمغاربة ، اذ نحن فى عصر التوحيد والتقريـب بيـن مختلـف المذاهب والاقطار ، ويزيل بذلك الاشكال الحاصل منه للمبتدئين .

رسـم الهمـز

نرى من الضرورى ان ترسم الهمز على الواو الاصلى لا على السطر قبلـه فى تؤوى وتؤويه وفى نحو يؤوده واخسؤوا وباب مسؤولا ، وتكون بعد تلك الواو الاصلية واوا ثانية ملحقة صغرى فى كل تلك الكلمات ، كما نرى من المحتم ان ترسم الهمز على واو ملحقة ايضا لا فى السطر فى : الرؤيا ورؤياك ورؤياى كما ذهب اليه الامام التنسى (20) فيهن وفى تؤوى وتؤويه . ونرى من الواجب رسم الهمزة المسهلة (اى النقطة) على الواو فى « أؤنبئكم » لانها مسهلة عند ورش ويرى التجيبى (21) رسمها كذلك على الواو . ونرى ضروريا

(19) هو الاخفش الاوسط احد تلاميذ سيبويه .

(20) الامام ابو عبد الله محمد التنسى ، اعتمدنا على نسخة مخطوطة له ولذا لم نذكر رقم صحائفها .

(21) هو محمد بن عتيق بن على التجيبى الاندلسى ت 646 هـ له كتاب : الدرر المكللة فى الفرق بين الحروف المشكلة

رسم الهمزة لورش على الواو والثانى فى « اللؤلؤ المكنون » لا تحته وذلك كما قال الشيخ المارغنى وكما هى فى مصحف حفص .

كما يجب ان ترسم الهمز على الالف فى الالفاظ التالية كما يرى المارغنى والخراز (22) ، وهى : ينبأ بسورة القيامة لا على الواو ، وفى يسألون بالاحزاب وشطأه بالفتح لا على السطر فى كليهما . ويجب ان ترسم الهمزة المضمومة على الالف أيضا لا عند وسطها فى نحو : أولئك وأنثى ولأنذركم وفى جاء أمة (مسهلة) . كما يجب ان نرسمها على الالف فى لام الالف فى « لأهب لك » بسورة مريم للامام ورش كما يرى ذلك الامام التنسى وغيره لا بياء صغرى على لام الالف وهو خطأ فادح لان الاداء انما يؤخذ من الشيوخ مشافهة ولان ذلك وجه غريب وضعيف ومخالف للرسم الاصلى وان قرئت لورش ضعيفا بالياء .

ويجب ان ترسم الهمزة المسهلة لورش فى « أرأيت » على الالف سواء اتصل بها ضمير أم لا كما نص على ذلك الامام التنسى وغيره وكما جرى عليه عملنا لان وجه التسهيل مقدم لورش على وجه الابدال ، وكذلك هو مقدم له فى نحو : أأنذرتهم وأأرباب وأألد وأأمنتم بالملك ، فالهمزة فى هذه الالفاظ ينبغى ان ترسم وفى نحوها ايضا ـ بالفين اثنين بدلا من واحدة قبلها همزة فى السطر . اما المصورة فاصلية وتدخل عليها الف صغيرة قصيرة اخرى قبلها للاستفهام ، والهمزة الثانية فى مثل هذه الالفاظ توضع مسهلة أى نقطة على الالف الثانية لانها مسهلة لورش عند البغداديين عن عبد الصمد عن ورش وهو الوجه المقدم لورش عندنا فى تونس . والهمزة الثانية مسهلة ايضا لورش فى أأنزل وأإله وأإنا لمردودون ، فينبغى لذلك ان ترسم بألفين اثنين الاولى صغيرة وقصيرة ملحقة والثانية طويلة كبيرة عادية اصلية عليها النقطة او تحتها . وكذلك ترسم على الالف مسهلة اى نقطة فى المتفقتين من كلمتين فى نحو : شاء انشره واولياء اولئك وفى نحو هؤلاء إن أيضا تحت الالف وذلك على وجه تسهيلها لورش فيهن .

---

(22) هو محمد بن محمد بن ابراهيم الاموى الشريسى الفاسى الشهير بالخراز من رجال القرن الثامن ، له كتاب مورد الظمآن وعدة البيان فى الرسم . شرح على العقيلة .

أما أءامنتم بالاعراف وطه والشعراء وأءالهتنا بالزخرف فيجب ان ترسم فيهن بهمزة بين الالف الاستفهام والالف اللينة الاصلية لان أصل رسمها هكذا « ءامنتم » و « ءالهتنا » ادخلت عليهما همز الاستفهام قصيرة صغيرة ملحقة فصارتا كما ذكرنا ، ولما كانت الهمزة الثانية فيهما مسهلة فانها ترسم نقطة فى السطر لا كما هى فى مصحف ورش بهمزة فى السطر ثم نقطة على الالف الاصلية بعدها الفا ثانية صغيرة محذوفة وهو وجه غير جميل وغريب جدا لوقوع الفين متتاليين حشوا فى كلمة واحدة لا فاصل بينهما ، ولقد ذكر المتأخرون من علماء الرسم القرآنى فى ضبط ما اجتمع فيه ثلاث همزات كقضية الحال وجوها كثيرة لورش وقالون أنهاها بعضهم الى ستين وجها (23) هذا وقد ذكر التنسى فى « الطراز » ثمانية اوجه فى نحو : أأنت وأأنذرتهم وأالله ومنها الحاق الالف الثانية فيها عليها « نقطة التسهيل » بحيث تصير بالفين كما ذكرنا نحن . وذكر التنسى ايضا فى أءامنتم الثلاثة وفى أءالهتنا أوجها منها الحاق الالف الثانية قبلها همزة فى السطر بحيث تصير كما ذكرنا نحن ايضا ، وقال التنسى : « وللمتأخرين فيهما كثير من الاوجه وذكر صاحب « كشف الغمام » فيهما نحوا من خمسين وجها » .

ويجب ان ترسم الهمزة فى السطر لا على الواو فى الكلمات التالية : أبناء الله بالمائدة وأنباء فى الشعراء وجزاء فى الكهف وطه والزمن والحشر. ويجب ان ترسم الهمزة على السطر فى « المنشآت » بعدها الالف الاصلية على احد وجهين بذلك فى الجميع لورش . أما رسم المنشآت فى المصاحف الآن بألفين متتاليين فهو وجه غير جائز لتواليهما حشوا . ومن المحتم ان ترسم الهمزة فى السطر أيضا فى « ليسوءوا » بالاسراء قبلها الواو الاصلية وبعدها الواو الملحقة الصغيرة كما نص عليها جماعة منهم الامام التنسى فى كتابه « الطراز » والمارغنى فى « دليل الحيران » . أما الحاق الواو قبل الهمزة كما هو فى المصحف برواية ورش فهو وجه ضعيف وغريب وشاذ جدا اذ أن « ليسوءوا » هى من باب « لتستووا وفاووا » اللذين الحق فيهما الواو الثانية لا الاولى . وينبغى ان ترسم الهمزة فى السطر فى « أن تبوء وفى لتنوء » وحيث كان رسمها فى المصحف الان بألف أصلية عليها هذه الهمزة رأينا ان توضع فوق تلك الالف الباقية بعد رسم الهمزة فى السطر ــ راس خاء بلا نقط (علامة السكون عند المشارقة) وذلك لتدل على ان هذه الالف زائدة وصلا ووقفا مثل

(23) انظر : دليل الحيران على مورد الظمآن ص 287 تاليف شيخ القراء والمقرئين بتونس سابقا ابراهيم المارغنى .

ألف لاذبحنه ومثل ألف نحو : وثمودا بسورة النجم وألف سلاسلا كلاهما بلا تنوين عند حفص وقد وضعت عليهما عند حفص تلك العلامة لنفس الغرض وقد استنبطنا هذا الوجه من ذاك .

اما الهمزة المصورة ياء فيجب ان ترسم دائما على الياء سواءكانت محققة او مسهلة نحو : سئلوا والمسيىء وأئنكم واللائى ، ولا ينبغى ان نهمل كلمة « اللائى » منها لان وجه التسهيل فيها هو المشهور عند ورش لا ابدالها ياء خالصة . والاصل فى الهمز التحقيق ويقابله التخفيف وهو لغة اهل الحجاز ، ويجب ان ترسم رئيا بمريم بهمزة على الياء كما قال التنسى ، ويتحتم كما ذكر فى « الطراز » ان ترسم الهمزة فى الكلماء الآتية ونحوها على ياء ملحقة صغرى لا بدونها وهى : بريئون وليطفئوا وخاسئين وأنبئونى واسرائيل وخطيئات والسيئات وشيئا وهنيئا ومريئا . وفى باب يايئس واستيئس وفى باب أفئدة أيضا وينبغى ان ترسم الهمزة على الالف فى هذه الكلمات : خطأ وملجأ ومتكأ بفتح قبل الهمزة المنونة بالنصب وكذلك خطأ بكسر فسكون فنصب التنوين وذلك بدلا من رسم أربعتها على السطر قبل الالف ، وهذه الكلمات هى من الكلمات التى جعلت فيها الالف الثابتة صورة للهمز .

(يتبع)

● **ورد الى المجلة :**

ــ فى سلسلة عالم المعرفة التى يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والادب بالكويت ظهر كتاب **النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية** من تأليف د. عبد الفضيل .

ــ وفى نفس السلسلة صدر كتاب جمالية الفن العربى للدكتور عفيف بهنسى .

من أغاني سيزيف المهزوم

شعر : البشير المشرقي

الحزن الجارف يغرقني
والليل على كتفي أنهار
وأنا بحار محترف
عمري ما كان
سوى إبحار ...
أهديت اليوم مجاديفي
وجناحي المثقل للأطيار ...
أجلست الشمس على كف
وعلى الأخرى ..
أقعدت بحار !..
تضنيني الرحلة من زمن ..
ما أقسى الرحلة عكس الأقدار !
ما أقسى أن يشتاق المرء ويحيا
في وهم الأفكار !

عشرون مضت من عمري
وتلتها عشر كالاعصار
وأنا سيزيف ، تغرقني الأوهام ..
ويجرفني التيار
الرحلة طالت يا زمنا
لم تقطف منه سوى الأشعار
الرحلة طالت
يا ويح البحار
الموغل في الابحار !

* * *

ماذا أهديك معذبتي
لا لؤلؤ عندي
لا أزهار !
اهديتك شعرا ملتهبا

وحروفا تزفر
فيها النار
ما زلت أكد معذبتي
وأجابه همى
فى إصرار
ما زلت التائه فى مدن
لم تغرق يوما فى الأنوار
ما زلت
أتوق الى الأبعاد
وأسكر من همس الأشجار
ما زالت كأسى تغرقنى
واللوعة تكبر فى الأغوار

* * *

الدرب .. الدرب سينكرنى
وسترحل عن روضى الأطيار
وسيبكي النورس من بعدى
مكسور الخافق .. والمنقار ..!

* * *

عشرون مضت من عمرى
وتلتها عشر كالتيار !
فكأنى الدوحة عرتها الأرياح
وأذبلها الاعصار
لكنى باق ! رغم تلاشى العمر
ورغم فنائى كالأزهار ..
ستظل أغاريدى
للفجر الحالم .. والأطيار
فكأنى الليل بلا حد ..
وكأنى الكون بلا أعمار !
إن مت اليوم .. فسيزيف ..
سيعود غدا ..
يتلو الأشعار !

البشير المشرقى

بنزرت فى 6 ـ 6 ـ 1978

الطريق الوعر

قصة : محمد المختار العبيدي

[الى والدى الروحى محمود المسعدى]

على هضبة صغيرة وقف رجل يحرك سوطا فى يده على مقربة من الهضبة على أرض بيضاء كالحة عطشى تربع طفل حنا رأسه وأخذ يداك الارض بحجارة مستقيمة كالموسى . من أعلى الهضبة ارتفع صوت .

الرجـل

احفر ولا تضع الوقت

الطفـل

حفرت وما وصلت

إنك خلقت لهذا

هذا كلامك، لم تنسه منذ سنين

(الرجل فى غيظ شديد)

أتقول كفرا وتتحدى ولى نعمتك

ما قلت كفرا ولكن الكفر أن تكون فوقى

(الرجل تظهر عليه علامات الاضطراب)

الهضبة هضبتى ورثتها عن أبى عن جدى

وسيرثها أبناؤك من بعدك

صه . قالت لك الهضبة هضبتى ولا دخل لك فيها

أراك تحن الى منطق الطيور . فقبلك قال الغراب : غاق غاق الحفرة حفرتى..

اخرس يا سليط

وما السليط يا سيدى

(الرجل يسكت برهة ثم يقول)

السليط من اذا تكلم رفع صوته فوق صوت سيده ولم يغض من بصره .

(يهم الطفل بالكلام ولكن الرجل يقاطعه)

أأصبحت تسأل وأنا أجيب يا مسلول ؟ احفر ولا تضع الوقت فانى أراك لم تفعل شيئا .

زودنى بآلات الحفر أطال الله عمرك

الآلات فى حاجة الى أيد مرنة وأصابع من مطاط وأنت ذو يدين من حجر

أتعيب على جفاف يدى وتصلبها وأنت الذى أرغمتنى على استعمال الحجارة مذ جلست على هذه الهضبة

(الرجل فى إصرار)

لا تتحدث عن الهضبة

اهدأ فلن أرفع فى المستقبل نحوك بصرى

أنت تحفر لتخصب الارض وتفجر العيون

سأحفر بلا انقطاع حتى تعجز أذناك عن سماع صوتى

ألا يكفيك أنى أراك ؟

لا تذهب الى ما تريك العين

إننا نبحث عن الوسيلة الناجعة لتفجير العيون واخصاب الارض

صدقت .

يسود صمت قصير فيتخذ منه الرجل فرصة للتفكير ويجلس بعد وقوف طويل ويضع الى جنبه الايمن سوطه ويرخى برجليه الى أسفل .

كم عمرك يا صبى ؟

ليس المجيب بأعلم من السائل

ماذا تعنى يا صبى ؟

انى أجهل كل شىء عن نفسى غاية ما أعلم أنه طال امتهانك لى .

لا تغلو فى كلامك والا سلطت عليك عذابا مستطيرا

أتعد غلوا قولى الحق ؟

ما أبعدك عن الحق يا صبى

الحق فى اللسان لا فوق الهضاب

أفصح يا صبى

ليس الحق هضبة حتى تملكه وحدك وتملكه أبناءك من بعدك

أجبنى عن سؤالى وافعل ما تؤمر قبل أن يشتد غضبى

إنى أعمل عندك منذ خمس سنوات دون السنوات التى قضيتها بالبيت .

وكيف جئت الى هنا ؟

ورثت هذا العمل عن والدى

أعطنى أوصاف والدك فقد تعاقبت على هذا العمل ناس كثيرون

أسمر اللون مفلج الاسنان مسلول لم أعرفه الا حافى القدمين يابس اليدين كف بصره قبل وفاته .

هذه أوصاف يشترك فيها كل الذين تعاقبوا على هذا العمل .

ذاك ما أعرف

هذا الافتراء بعينه

ما الافتراء يا سيدى ؟

الافتراء ان تصف أباك بأوصاف يشترك فيها مع كل الناس

سحقا للافتراء يا سيدى فأنا نظير والدى رغم فارق العمر

لم أسألك عن أوصافك فأنا أراك

لا نذهب الى ما تريك العين

أريد معرفة والدك

أراك تذكره وكأنك تتحسر على فقده.فهلا أوليته مثل هذه الرعاية قبل موته

لعله كان أقل منك صخبا وأحرص منك على العمل

وما كان جزاؤك له ؟

لقد كتب عندى من الصالحين

هو ذا الكفر بعينه يا سيدى

لا تعد الى سلاطة لسانك

أراك تخرج الكلام جزافا ويطيعك اللفظ ويغريك فتغرف منه عذبه وأجزله ولكنك تقول ما لا تفعل والا فما أعددت لمن كتبتهم عندك من الصالحين .

سمحت لهم بأن يجعلوكم ورثتهم فى هذا العمل من بعدهم .

يغيب الرجل لحظة ويبقى الطفل يمسح عن جبينه العرق . يطل الرجل من جديد ويرمى الى الطفل برغيف .

(الطفل يتحسس الرغيف) ثم يقول :

لم أر أجف من يدى الا هذا الرغيف

ارفع صوتك انى لم أسمعك

لقد بلغت بى المقصود وحققت ضالتك .

:فتح فاك فانى لم أسمعك

أريد مــــاء

سأحقق طلبتك فى الحين ، هل لك غيرها ؟

أريد رداء يقينى حر الهاجرة ولدغ البعوض والذباب والخنافس

ساوصى لك بذلك من احدى البقاع المجاورة وأحقق لك طلبتك فى مـدة اعتقد أنها لن تطول

(يرفع الطفل رأسه فى اتجاه الرجل ويتدحرج بعض الحصى والتراب من فوق فيصيب عينيه)

سيدى خفف الوطء ، فهذا جسمى ما زال يتحرك

ارفع صوتك انى لم أسمعك

بح صونى وانغلق بلعومى وأصبحت قاب قوسين من الايماء أو أدنى .

ماذا تقترح يا طفل ؟

(الطفل يضرب يدا على يد ولا يجيب)

ألك طريقة جديدة للعمل ؟

أعطنى اجازة يخل لك الجو للتفكير فى طريقة ترضاها

(الرجل فى غضب شديد) :

احفر واترك عنك اللغو والا قطعت لسانك

أتريد قطع لسانى وفيه الحق كامن

لسانك سليطٌ وحقك باطل وكلامك مردود

فلماذا تبقينى عندك ؟

لتخصب الارض

أراك مذبذبا يا سيدى لا تفقه لكلامك معنى

إنى كتبتك عندى من الخوارج ولن ينال خيرى من بعدك عقبك .

هذه حجارتك وهذا ما تبقى من جسمى ألوذ به .

يغادر الطفل المكان ويبقى الرجل يصيح يناشده الرجوع بينما يتراءى من بعيد شبح آدمى فى طريق أجرد أحفى الاقدام وأحفته .

رثـاء (*)

شعر : الهادي نعمان

والدى حرت تحت ثقل المصاب   هد منى الحجا فأين صوابى
قد فقدت الصواب حتى كأنى   ضائع فى سباسب وسراب
يا لرزء قد مزق القلب منى   فأنا الآن بعده فى نباب
يا لروع المصاب كيف أرانى   بعده اليوم فى أشد عذاب
يا لفقد فقدت فيه عزيزا   شرفا محتدا ونبل رغاب
يا سمو الاخلاق يا والدى الرو   حى ويا ملجئى لدى الاضطراب
أين ألقاك بعد ذا اليوم يا   مجدى أفي الدرس تستحث جوابى
والتلاميذ كلنا نسمع الدر   س فأين الصوت الحنون السابى
صوتك اللطف رقة وحنانا   كم سبيت الاجيال بالترحاب
كلنا يذكر الحروف وأصل العلم   صغارا فى جيئة وذهاب
كنت مفتاح كل مغلق حرف   كنت أنت الاساس فى الترغاب
إنه العلم لا يرغب فيه   غير مفتاحك الذكى المستجاب
أين ألقاك سيدى وأصيلى   وأساسى ومفخرى فى الرحاب
انت اكسبتنى الحجا من أساس   لك شكرى أيا أساس شبابى
أين ألقاك انى جد محتا   ر أيا فخرى ويا عذب سلس شرابى
يا أبى الحق والأبوة قلت   كيف ألقاك كى يعود صوابى
وتعود النصيح لى من جديد   وتعود الملقنى للصواب
طوى الدرس لحسرى وعجزى   أين تاجى أذاهب لتراب
أين وعيى وقد فقدتك يا وعيى   فصبرا رب على كل صاب
والدى الخير النبيل المفدى   ليتنى مت فدية يا خطابى
غير أن الاقدار أستغفر الله تط   اع لحكمة الوهاب
رب أرجوك أن تخفف وطئا   باصطبار يا حاكما فى الرقاب
لست ادرى أأستطيع رجوعا   بعد دفن المطهر المنساب
أنت طهر يا والدى ليس ينسى   أنت مسك وخير مسك مذاب
يعرف الناس كلهم جوهر الـ   ـدر إماما فى المنبر المنجاب

(*) رثاء الامام الاول الحاج محمد الزيلى بجامع بورقيبة بالمنستير .

والمصلون خلف صدقك طرا ... هم حيارى مثلى على المخطاب
كم تلقوا من دروس ووعظ ... سوف يبقى ذخر الامور العجاب
والقرآن الكريم زادك دوما ... كان دوما في الصحب خير الصحاب
يا إماما يا قدوة السلف الصا ... لح حقا يا قدوة الأصحاب
ان كل المشيعين صحاب ... بالبكاء المدرار والاعجاب
ليس ينسون فضل نصحك فيهم ... حين يزدان منبر بالثواب
أيها الحاج بيت ربك صدقا ... يا نظيفا حقا من الأوصاب
أيها ذا الموثق العدل صدقا ... وامتثالا لله فى الانساب
أين ألقاك بعد هذى العطايا ... وهى نور زالنور جد مهاب
هبة أعطيت لك من رب كريـ ... ـم فنم هانئا لدى الوهاب
قلبك الطاهر الطهور مع الروح ... فبشراك النعيم فى استتباب
فالاله العظيم راض عليكم ... هو أدرى وأنت فى المحراب
كيف كانت صلاتك الخير والطهـ ... ـر خشوعا له على الأعتاب
كل هذا تلقاه ان شاء ربى ... وسنبقى نبكى مدى الاحقاب
سوف لروى الاجيال سيرتـ ... ـك الحسنى خلودا حتى قيام الحساب
مثل يقتدى وطاعة رب ... كم تفانى فيها لخير ثواب
يا صفيا لكافة الناس جمعا ... صفوك النبل وهو غير مشاب
واجبى وقفة أودع فيها ... سلفا صالحا وزاد مناب
أتمنى يا شيخى الحاج صبرا ... أستعين به مع الأتراب
خالى الزيلى وداعا وداعا ... حذو أمى وقلبى الآن كابى
إسمك الخير يا محمد الخير فخرا ... ثم يا ابن المراد ذخر الثواب
أملى الصبر حتى يفعل ربى ... ما يشاء فى حكمة النواب
مجدك الدين مجدك العلم والعفـ ... ـاف الحق وخير النوايا خير الرغاب
أيها ذا الحاج العزيز علينا ... أنت خالى فقدت فيه كتابى
غير أن الروح العظيمة تبقى ... فى كتابى الروحى نبع شرابى
كنت فى هذه الحياة تقيا ... ثم ودعتها ملء الوطاب
قدوتى أنت رب يسر لى الأمـ ... ـر فأحظى بفتحة باب
وعزائى الوحيد أنى وفى ... فاذا لم أصب فبئس عذابى
رب أكرم هذا الفقيد بخير ... رب رحماك كلنا لذهاب

الهادى نعمان

ـ المنستير ـ

مقبرة الامام المازرى

معزوفة حزن اليها ..

شعر : عبد الحميد مواعده

الى ذات أنامل صغيرة يوم تفارقنا

(1)

الى أين أهرب منك ومنى
الى أين أمشى وتمشين عنى
وروحى تعيش بكهف من الحزن
جرحى عميق ...
ونحن نعيش بسجن من العشق
فى عالم لا يحب التغنى
غريق .. غريق !!...

(2)

الى أين أمضى .. وتمضين عنى
ودربى طيوف تضيق بصدرى
ومن ألف حلم ندى جميل
ومن ألف همسه
وأشياء أخرى ...
تقاسمتها من زمان وأنت
ونسيانها مستحيل

(3)

فلو تعلمين بأنك أنت الحبيبه
وانك أنت كاسباب صمتى
وطيفا ترق له ادمعى
وانك فى شفتى تمتمات عباده
وان اسمك الحلو (نرجس)
يرق صداه على مسمعى

(4)

أنا ان كتبت كلاما اليك
رموزه تنزلنى بالسواد
ستبقين سحرا لدى
ويبقى ندائى اليك
أنشودة الماضى
ريحانة الشوق فى كل وادى

(5)

انا ان رجعت اليك
وحطمت كل القيود
فمن أجل .. من أجل عينيك
ومن أجل آهات قلبى ، أمضى
ازمجر يقتلنى الحزن
ثم أعود ،،،
لكى أتبخر فى مقلتيك
واهبط كالسيل خلف الرعود !!...

عبد الحميد مواعدة

الأغنية الأولى

شعر : بابلو نيرودا
تعريب : سوف عبيد

①

جسد المرأة بيضاء الهضاب
بيضاء الأرداف
صفة الهبة تجعلك سواء للعالم
بجسدى ...
جسد الحراث المتوحش
بسكته جعل يقذف الولد
من أعماق الأرض !

②

كنت لحظة كالنفق الخالى من الطيور
والليل يغمرنى بكل قوته
كى أنجو كان لا بد لى أن أصقلك
كالسلاح
وأنت السهم لقوسى
وأنت الحجرة لمنجنيقى ؟!

③

ولكن تمر ساعة الانتقام
وأظل أحبك
جسدا من البشرة والرغوة
ومن اللبن الشهى والقيد
آه يا مزهرية النهدين
آه يا عينى الغياب ؟!

④

أيا جسد المرأة أنا صامد
فى شفاعتك
يا ظمأ ورغبة بدون حدود
وطريقا بلا غاية
أيا تيارات القمات حيث يسيل
عطش أبدى
وحيث يسيل الاعياء
والألم الأبدى !!

بابلوا نيرودا

مطالعات

دراسات في مصطلح السياسة عند العرب

تأليف : الدكتور أحمد عبد السلام
نشر : الشركة التونسية للتوزيع
ديسمبر ، 1978 ، 167 ص.
تقديم : محمد الهادى الطرابلسى

ليس من السهل أن يشق الباحث العربى اليوم طريقه الى البحث العلمى الموضوعى فى تراث العرب بعد حركة الاستشراق التى ننكر عليها قلة التعمق حينا وقلة الاخلاص حينا آخر ، مع أننا لا ننكر عليها دورها الكبير فى تنشيط البحث فى بعض وجوه العطاء الفكرى الذى أفرزته الحضارة العربية فى تاريخها الطويل ، وقدمته الاجيال العربية المتلاحقة للانسانية فى هذا الميدان.

وليس من السهل عليه أن يصرف همه الى ذلك المشغل بعد تقاليد البحث الذاتية التى أرستها البحوث المتفرقة الشاملة أو الجزئية والتى أنجزها بعض العرب أنفسهم ، وما زالت تستنزف ـ على غير أسس قويمة ـ طاقاتهم .

فقد ارتكب بعض رواد الحركة الاولى أخطاء جوهرية فى حق حظ العرب من التفكير لا يدركها الا من عالج النصوص ، وسبر الاغوار ، وأخلص للعلم ، ووفق فى الاجتهاد ، وقد غفل كثير من رواد الحركة الثانية عن حقائق الاشياء

بسبب الخلل فى منهج العمل ، فقل من سلك سبيل الموضوعية منهم أو بحث فى الامور بتجرد .

يصعب اليوم اصلاح الخرق وقد اتسع واستئصال الداء وقد استفحل ولكن ذلك ــ مع بذل الجهد ــ لا يستحيل .

إن من واجب الباحث العربى اليوم أن يقف ــ ولا سيما فى الآداب والعلوم الانسانية ــ أمام تحديات عديدة تشكل خطرا على مستقبل البحث فى تراث العربية ، منها ما يلاحظ من تجاهل أو جهل لعطاء الامة العربية فى بحوث الذين يتقدمون للبحث فى الفكر البشرى من غير العرب أو المستشرقين ، ومنها أيضا ما يظهر عند بعض العرب أنفسهم من ضعف العزيمة على مواصلة البحث فى الآداب والعلوم الانسانية أمام بهرج الغزو التكنولوجى ، ومادية العلوم « الصحيحة » ، كما لو كان البحث فى الفكر والجماليات من بذخ الصنعة والكماليات .

ولكن أعظم أخطار ذلك على الاطلاق مضانة فى بحوث فئة من المستشرقين يعوزها تدقيق النظر ، وفى تقاليد البحث التى استتبت عند فئة من العرب يعوزها تقويم منهج العمل .

وتندرج حركة البحث فى التفكير السياسى عند المسلمين والعرب التى بعثها برؤية جديدة الاستاذ الكبير أحمد عبد السلام ، فى نطاق خطة نضال من أجل إحياء تراث الامة العربية وابراز خصائصه على الوجه الذى يستحق .

وقد سخر الدكتور أحمد عبد السلام لذلك منذ سنوات عديدة جهدا متواصلا فى البحث والتدريس ، فى كلية الآداب وفى مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس ، كما بادر فى المركز المذكور بخلق أولى حلقات البحث فى لغة التفكير السياسى عند العرب والتواضع للمشاركة فيها كعضو من أعضائها . وهو يشرف اليوم على مجموعة من البحوث يقوم بها الطلبة وتتصل بهذا الموضوع .

وقد طالعتنا الشركة التونسية للتوزيع ــ منذ أسابيع ــ بكتاب الدكتور أحمد عبد السلام « دراسات فى مصطلح السياسة عند العرب » متضمنا مجموعة من البحوث كان المؤلف أنجزها فى نطاق برامج مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية ، وأخرجها فى هذا الكتاب مبوبة متسلسلة

تسلسلا يدل على أنها وإن كانت فى أصل وضعها تمثل حلقات منفصلة بنية وزمنا ، فانها منسجمة ومتصل بعضها بالبعض الآخر مما يبين أنهـا أعمـال تندرج فى نطاق خطة نضالية معينة وبرنامج علمي واسع ، ومما يؤكـد ذلك أن المؤلف أراد هذه الدراسات المجموعة « حلقـة أولى » إذ وعـد بأن يتبعهـا بحلقات أخرى حيث قال :

« فنحن إذ نقدم هذه الحصيلة الاولى من بحوثنا فى هذا الميدان نرجـو أن نكون قد ساهمنا فى توضيح جوانب من تاريخ التفكير السياسى فى بلادنا ، ونرجو كذلك أن نتمكن بحول الله وحسن عونه من إتمـام مـا بدأنـاه هنـا بدراسة ثانية نوضح فيها إن شاء الله جوانب أخرى من ذلك التفكير اعتمادا على مؤلفين آخرين من كتاب السياسة العرب » (المقدمة ص 5) .

ويقوم هذا الكتاب على ثلاثة أقسام ـ أو مقالات ـ هى بمثـابة الدراسات التحليلية المقارنة لمصطلح السياسة عند كتاب السياسة التونسيين من القرن الرابع عشر الى القرن التاسع عشر . وليس هذا العمـل مجـرد مـرحلة من مراحل الكشف عن مصطلح السياسة عند العرب ، وإنما هو مرحلة أساسية فى العلم ، تأسيسية فى مشروع العمل ، ذلك أنها تتضمن تحليـلا ضافيـا لوضعية المصطلح فى مقدمة ابن خلدون ، وهى ـ كمـا بين المـؤلف ـ مصب لتيارات التفكير السياسى التى ظهرت عند العرب فى القديم ، ومنطلـق مـا كتبه المسلمون والعرب فى شؤون السياسية منذ أواخر القرن السابع عشر .

أما الكتابان : « أقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك » لخيـر الـدين ، و « إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان » لابن أبى الضياف ، فقد كانا فيها أداتى مقارنة ـ أساسيتين لا محالة ـ ولكنهما نموذجان يمكـن تعويضهما لتوسيع المعرفة بحقيقة مصطلح السياسة عند العرب فى القديم أو الحديث ، ولكن مقدمة ابن خلدون لا معوض لها ، فهى المحور الذى يستقطب ما سبقه ويشع على ما لحقه .

وقد جعل المؤلف لهذه المقالات مقدمة عامة (من ص 3 الى ص 5) ، أشاد فى قسمها الاول بمنزلة آراء ابن خلدون فى تاريخ التفكير السياسى واعتبرهـا همزة وصل بين مرحلتين كبيرتين فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، مما يحتـم الانطلاق فى دراسة التفكير السياسى ولغته عند العرب من هذا الاثر الفريد ،

وبين المؤلف فى القسم الثانى من المقدمة منطلقاته العلمية واختياراته المنهجية وأهدافه البعيدة بما من شأنه أن يكشف للقارىء طرافة الموضوع ، من ناحية ، وجدة الرؤية ، من ناحية أخرى .

أما الاقسام الثلاثة فقد ركزها المؤلف على تتبع سبع مصطلحات لنص « المقدمة » من جهة ولنصى « أقوم المسالك » و « الاتحاف » من جهة أخرى .

ولكن حظ هذه المصطلحات من التحليل والمقارنة بغيره كان متفاوتا من واحدها الى آخر بحسب أهمية جريانه فى استعمالات الكتاب الثلاثة ، ومدى ضيق حقله الدلالى أو سعته .

هكذا استأثر مصطلح « السياسة » بالقسم الاول (ص 7 — 39) ، واستأثر مصطلحا « الملك » و « الدولة » بالقسم الثانى (ص 41 — 84) ، بينما خصص القسم الثالث لمصطلحات أربعة هى : الوازع والعصبية والشورى وأهل الحل والعقد ، (ص 85 — 162) .

وقد عاد المؤلف فى الخاتمة التى خرج بها من البحث الى إبراز الصلة الموجودة بين المعانى المختلفة التى دلت عليها المصطلحات المدروسة فى الآثار الثلاثة ، وبيان دورها فى التقدم بالباحث شوطا كبيرا نحو فهم التفكير الخلدونى وفهم التفكير السياسى فى القرن التاسع عشر .

وكل ذلك يؤكد ما نص عليه المؤلف فى مقدمة البحث من فائدة تحصل عند النظر الى التفكير السياسى على أنه القاعدة الاساسية لمختلف مظاهر التفكير الاسلامى ، كما يركز القاعدة التى ختم بها المؤلف بحثه وهى :

« ان المصطلحات السياسية لا يمكن أن تدرس فى غير إطارها من المشاكل التى عاناها الكتاب والمفكرون الذين التجؤوا اليها » ، (ص 165) .

ولعل أبرز مظاهر الطرافة فى هذا العمل يكمن فى جمع المؤلف فى بحوثه بين جانبين متكاملين فى القضية : الجانب الفكرى والجانب اللغوى . ولم يكن ذلك لمجرد توسيع العمل وإنما لما لاحظ من تفاعل بين مضامين التفكير وأساليب التعبير ، فكان ينطلق من الواقع اللغوى المشترك ثم يتأمل فى

واقع الاستعمال فى النصوص المدروسة حتى يصل الى ضبط الابعاد الفكرية فى القضية وتعيين قيمتها الحضارية .

فعمدة هذا العمل الاساسية النص الحضارى الذى لا يتناول فى مستواه الاخبارى المجرد كما يسير العمل بذلك فى البحوث التقليدية ، وإنما يتناول فى مستواه الايحائى أيضا ، أى من هو دال بواسطة إمكانيات الاداء فيه أولا وقبل كل شىء ، لا بواسطة لبنات الافكار الظاهرة فحسب .

والانطلاق فى بحث النصوص من الظاهرة اللغوية منهج فى العمل ، أقرته اللسانيات وبرهنت الدراسات الحديثة على نجاعته وضرورته لا بالنسبة الى الابحاث التى تعنى باللغة فحسب بل بالنسبة الى الابحاث التى تعنى بشؤون الفكر أيضا .

غير أن الظاهرة اللغوية فى بحوث الدكتور أحمد عبد السلام كانت منحصرة فى اللفظ الاصطلاحى . وليس فى ذلك غرابة اذ المصطلح الفنى إن كان يمثل الاطار العملى الادنى الذى يعلق به معنى ، فهو الاطار العلمى الاسمى الذى يعكس مدى النضج الذى يبلغه التفكير ، والتجريد الذى يبلغه التنظير .

فيحق لنا بمقتضى ذلك أن نعد هذا العمل نواة لوضع معجم تاريخى مختص فى لغة السياسة عند العرب .

واعتقادنا الاخير هو أن كتاب الدكتور أحمد عبد السلام يبشر بنهضة قويمة فى ميدانى البحث اللغوى والبحث الحضارى فى العربية .

محمد الهادى الطرابلسى

فى الاعداد القادمة

قـــدر الشـعــراء (شـعــر) ....**محمد على الرباوى**

رحلة البلوى بين النقد والعرض ....**نقد وعرض : أحمد الشتيوى**

بورقيبة ومواجهة الرأى العام العالمى (3) ..**د. عبد الغفار محمد حسين**

الاشـراقــات (شـعــر) ....**رانبو تعريب : محسن بنحميده**

المغربي والرياضة

بقلم : البشير السالمي

لم تأخذ الرياضة البدنية من الاهتمام والاعتبار بقدر ما أخذته في الربع الاخير من هذا القرن .

فقد كان أصحاب الوجاهة ورجال الجد ومعظم النساء ، كانوا يستخفون بالرياضة البدنية وربما اعتبروها شيئا من العبث المباح والخفة .

وصفى الدين الحلي يلخص هذه النظرة بايجاز في قوله :

انظر الى النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

أما اليوم فقد تغيرت تلك النظرة وكسبت الرياضة من الاعتبار ما يجعل الانظمة التربوية العصرية تدمجها في صلب برنامج التعليم وتعتبرها مادة اجبارية ، وخاصة في مرحلتي الابتدائي والثانوي وقد كثرت الجمعيات والنوادي الرياضية ، ولم يستنكف بعض رجال الجد من المسؤولين في الدولة من رئاسة بعض هذه الجمعيات وتسييرها ولكن رغم تقدم الزمن وتغير العقليات واكتساح الرياضية لميداني التعليم والشغل رغم ذلك فان البعض منا لا يزال يعتبر الرياضة عمل من لا عمل له ، أو هي ترف اذا قام به البعض سقط عن الباقين .

أيمكن أن يظنوا أنها ليست من تقاليدنا كعرب ومسلمين ؟

ـ أما بالنسبة للعرب فاننا نستطيع أن نؤكد قيام العربي بالرياضة منذ فترة ما قبل الاسلام ، وقد برز بالخصوص في ميدان الفروسية وخطط لها عن طريق التجربة والممارسة لا بالتقنين النظري ويلخص هذه الخطة باختصار قول امرىء القيس :

مكـر مفـر مقبـل مـدبـر معـا
كجلمود صخر حطه السيل من عـل

فالكر والفرخطة احتضنها الفارس العربى وطبقها فى جولاته وهى تشبـه حطة الرياضة الحديثة وقد كان العرب يدفعون بأبنائهم الى ركوب الخيل التى كانوا يحرصون على تربيتها وصيانتها حرصا يصوره كتاب ابن هشام الكلبى فى نسب الخيل وفرسانها وكتاب الحيوان لعمرو بن بحر الجاحظ وكتاب ابن الاعرابى فى أسماء الخيل .

ومما قاله بعضهم فى الخيل :

أهينوا لها مـا تكرمـون وباشـروا
صيانتهـا والعـون للخيـل أجمـل

متى تكرموهـا يكـرم المـرء نفسـه
وكل امـرىء من قـومه حيث ينـزل

كما تداول العرب رياضات أخرى كالرماية والمسايفة ورفع الاثقال ، وقد كانوا يولون من الجد والصرامة لاقامة المباريات ما لا نكاد نصدقه ، وفى هـذا المجال نذكر أن حربا أهلية دارت رحاها مدة طويلة من الزمـان بين قبيلتين معروفتين هما بكر وتغلب ، لا لشىء الا لان أحـد الفـريقين المشـاركين فى السباق قد غش أثناء المباراة وخالف التنظيم المعمول به إذ ذاك ، وهذه الحرب الاهلية معروفة بحرب « داحس والغبراء » .

ـ وبظهور الاسلام ازداد حب العرب للرياضة بتزكية الدين لها وتحريضه عليها : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » .

وقد فاضل الدين بين قوة المال وقوة البدن ، ففضل الاخيرة : « وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يوت سعة من المال ، فقال ان الله اصطفاه عليكـم وزاده بسطة فى العلم والجسم » .

هذا وقد أعجب المسلمون بشخص الرسول اعجابا لا يفـوقه الا اعجـابهم باستقامته ونزاهته فما هى مقومات شخص الرسول ؟

لقد كان الرسول محمد كامل الجسم ، اذا مشى ، مشى مستقيم القوام ، ركيز الخطى واذا توقف ، توقفت جميع أجزاء جسمه فى ثبات ، واذا تحول الى اليمين أو الشمال تحول جسمه فى ثبات ، واذا تحدث تحركت عضلات فمه بنظام لا فأفأة ولا غمغمة ، واذا تحول جسمه تحول بكافة مفاصله ، وكان الرسول بسبب رياضته لبدنه مستوى الصدر والبطن ليس له كرش ناتىء ، ولا عضو نافر ، وكان يصعد جبل « حراء » و،ينزل منه كما هو لا يرى عليه أثر الاجتهاد .

فلا غرابة اذن أن يلتفت ذات يوم الى شباب المسلمين وكهولهم وقد التفوا به رجالا ونساء ، وربما لاحظ من بينهم من أسرف على نفسه فى العبادة ، وانشغل بزوجه وأولاده ، وزهد فى جسمه وهندامه ، فقال : « ان لربك عليك حقا ، وان لبدنك عليك حقا ، وان لأهلك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه » .

ولا يعنى بحق البدن مجرد توفير الاكل واللباس والسكن اذ يعتبر ذلك من باب تحصيل الحاصل ، وانما يعنى حق توفير مناعة هذا الجسم ومرونته وجماله بصفة دائمة .

وذلك تحقيقا لقوله تعالى :

« لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » .

ــ ولم يكن الخلفاء من بعد الرسول بأقل منه حرصا على ضمان حقوق البدن وتنبيه المسلمين اليها ، وهذا عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء يمر ذات يوم واذا بشاب قد تنسك وأحنى ظهره وطأطأ رأسه علامة الخشوع والتبتل فحمل عليه عمر وضربه وقال له :

« ارفع رأسك واصلح قامتك ، لا تمت علينا أماتك الله » .

ومما يسترعى الانتباه كذلك ، ،زيادة على ما تقدم ، أن جوامع المسلمين ومساجدهم تكاد تشبه من الداخل قاعات الرياضة البدنية لخلوها من الكراسى التى تغص بها الكنائس والبيع ، ولا غرابة فى ذلك ، فكل أنواع الصلاة الاسلامية تشتمل على الحركة ، حركة كامل البدن من قيام وركوع سجود

باستثناء صلاة الجنازة . فهل يكون من باب الصدفة أن تشتمل كل الفرائض والسنن والنوافل من الصلاة عندنا نحن المسلمين على الحركة ؟

وفي رأيي أن الاسلام وثق دائما بين الروح والجسم ودعا الى تربيتهما واصلاحهما وليس هناك عرض وجوهر ولب وقشور وأصل وفرع ، وانما هناك وحدة متكاملة بين الجسم والروح ، والصلاح في تحقيق هذا التكامل هو ما افتخر به شاعر الحكمة أبو الطيب المتنبي في قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وهناك بحث جيد في هذا المعنى صدر عن المعهد القومي للبحوث التربوية الفلاحية بفرنسا : (I.N.R.A.P. N° 19 - Dijon - France) يؤكد ضرورة اقتران التكوين الثقافي بالتكوين البدني ، وذلك ليكون هذا التكوين المزدوج عونا على النهضة بالانسان من جهة والاقتصاد الوطني من جهة ثانية .

الرياضة اليوم :

وبتدهور الخلافة الاسلامية في المشرق والمغرب ، وتعرض العالم العربي اثر ذلك الى الاستعمار تدهورت الرياضة البدنية واقتصر حق البدن على توفير الحد الادنى من القوت واللباس والمسكن .

أما الغرب فقد خطا في هذا الحين خطوات عملاقة في ميدان الرياضة وتكوين الانسان الجديد .

وهكذا برزت كل من ألمانيا وانقلترا وفرنسا ، وكسبت الرياضة البدنية بعدا آخر ، وصار لها روادها ومفكروها ومنظموها وكان على رأسهم بيار دي كوبرتان الذي يعتبر الرياضة أساس العمل التربوي ، بل أساس تكوين الانسان الجديد الحر ، سليم الجسم والعقل متضامنا مع مجتمعه ، ومكتملا في انسانيته .

ـ وفي مجال الحديث عن علاقة الرياضة البدنية بالثقافة قال :

« انه لمن الخطأ أن نترك التربية الفكرية تطغى على التربية البدنية ، ان الكلل الذهنى الناتج عن الانتباه المتواصل والتوتر العصبى ، تنجر عنهما فى الواقع الاخطار التى تتهدد الاشخاص غير النشيطين الذين لا يوفرون لابدانهم سبب الحركة ذلك أنه ليس بامكان الذين يستنفذون قواهم ويبلغون حدود الاجهاد أن يقاوموا التعب الا بالسهو والاتخاء وتشتت الخاطر » .

دور المــربــى :

فما هو دور المربى فى المدارس والمعاهد ؟

ان دور المربى الاول هو أن يقاوم كل انحراف بالرياضة عن غائيتها التربوية ويبين من أنها سلاح ذو حدين ينفع مع الاعتدال والاقتصاد ويضر مع الافراط والارهاق .

ومن واجب المربى أن ينتهز أى فرصة للتعريف بالرياضة الصحيحة واعتبارها فضيلة من الفضائل .

وهذا الدور ليس موكولا الى أساتذة الرياضة فحسب بل هو دور كل المتفقدين والاساتذة وخاصة من يدرس منهم العلوم الانسانية وهذا رأى السيد محمد مزالى وزير التربية القومية ونائب رئيس اللجنة الاولمبية الدولية .

ولنا على كل حال فى تراثنا العربى الاسلامى ما يمنعنا من الانزلاق فيما تورط فيه غيرنا من تحريف للرياضة وخروج بها عن غايتها النظيفة النبيلة.

البشير السالمى

أضواء الفكر

● **محمد مزالي يتحدث عن قضايا عصره :**

نظم عشية الجمعة 23 مارس 79 المعهد الفني بالوردية بالاشتراك مع نادي أبي القاسم الشابي لقاء مع السيد محمد مزالي وزير التربية القومية حول كتابه (مواقف) وقد استمع الوزير الى عدة عروض تحليلية من قبل عدد من التلميذات وبعد ان أبدى ارتياحه لما لمسه من مستوى طيب في فهم النصوص وادراك ابعادها ، تولى الاجابة عن جملة من الاسئلة والاستيضاحات حول مختلف المسائل التي تعرض اليها الكتاب .

وفي مستهل ردوده بين السيد محمد مزالي ان من واجبه تعديل بعض الافكار الواردة في كتابه والتي كتبت في الستينات حول واقع الشباب التونسي وواقع التعليم في تونس . ذلك انه لم يعد هناك مجال للتشاؤم فان عدة مشاريع قد انجزت او هي بصدد الانجاز وان معركة التونسة والاصالة قد بدأت تسجل انتصارات حاسمة منذ 1970 .

واجابة عن سؤال حول المؤثرات التي كيفت آراءه وشخصيته وعن ملاحظة وردت في أحد العروض بخصوص امكانية تأثره في عهد الدراسة بجو الحرية في باريس . قال الوزير : « لقد كانت افكاري حول الحرية والاستعمار واضحة قبل ذهابي الى باريس حيث كنت أطلب العلم فقط . أما الحرية فقد عرفتها منذ تألمت من فقدانها الذي دعاني وحده الى نشدانها والنضال من أجلها . كما اني عرفت الاصالة منذ تعلمت النحو والصرف العربيين في الصادقية بالفرنسية على أيدي استاذ فرنسي .

اما في فرنسا فقد تعلمت مساوىء الحرية فقد اصطدمت في بداية اقامتي بباريس ، باضطرابات كثيرة شلت قطاعات حيوية فقد حرمنا من جرائها من النور والتسخين وحتى من التموين ، فادركت منذ ذلك الوقت ان الحرية غير الفوضى وغير الديماغوجية ، كما اني تألمت من تعدد الاحزاب ورأيت التكالب على الحكم ووقفت على ما هو أخطر من ذلك اذ لم يكن يخفى علي ان هناك احزابا

تخدم مصالح دول اجنبية . ورأيت كذلك كيف ان رأس المال يستغل — عن طريق الموضات المختلفة — بسطاء العقول فتملأ الجيوب باسم الحرية . وحضرت كذلك خصومات ايديولوجية كثيرة يدعى كل منها امتلاك الحقيقة ، وفى ذلك ما فيه من تفريق الشمل واهدار الطاقات .

وعشت كذلك مأساة جان بول سارتر الذى كان يغازل الشيوعيين بغية الحصول على شهادة فى التقدمية ولكنه كلما خالف المذهب فى مقال ينشره بمجلته (الازمنة الحديثة) ينصب عليه وابل من الشتائم التى تنحط احيانا الى السوقية . كما تتبعت عن كثب المغامرة الوجودية . ولم يكن فى تربيتى واخلاقى كتونسى ما يهيئنى مثلا الى تقبل افكار رفيقة سارتر ، سيمون دى بوفوار حول الزواج وحول تفضيل العلاقات الحرة .

ثم يقول السيد محمد مزالى : لقد عشت عيشة الشعب ، كنت فقيرا وعرفت شظف العيش لذلك كنت شديد التعلق بالتونسة بينما كان من زملائى فى الدراسة كثير من ابناء الاسر الموسرة ، اصبحوا يساريين متطرفين فى باريس يدافعون عن المحرومين فى حين انهم لم يعرفوا طعم الحرمان قط .

ثم دعا الوزير مستمعيه ومستمعاته من الاجيال الصاعدة الى الاعتزاز بانتسابهم الى هذا الشعب بمزاياه وبنقائصه كما هو وكما سيكون ، وحذرهم من الانبتات ، ذلك ان اكبر جريمة اقترفها الاستعمار ليست القتل او ابتزاز خيرات الشعب انما هى محاولة مسخه وتشكيكه فى ذاته وفى قيمه ، فاذا ببعض التونسيين يتنكرون لقومهم وعشيرتهم ويتفرنجون .

ولقد قام كفاح الرئيس الحبيب بورقيبة على التصدى لهذا التيار اولا وبالذات فقاوم التجنيس ودعا التونسيين الى رفع الرأس واضعا الكرامة فوق كل الاعتبارات لذلك فان اول ما ينبغى ان نوصى به الشباب هو (اياكم والانحناء ! ارفعوا رؤوسكم ! وانظروا الى الحياة وجها لوجه) .

ثم تطرق الوزير الى ضرورة اقتران القول بالفعل والعلم بالعمل اذ ليس بالامكان تغيير الواقع بالنظريات والكلام الطيب ان حياة الانسان ملحمة تقتضى العمل وتفضى الى الشعور بنخوة الفعل . كما ان الحياة مليئة بالفخاخ والشباك والانسان الشريف هو من لا يتواطأ فالسعادة الحقيقية هى الوفاء للذات وللجماعة .

وفيما يتعلق بالتاريخ ، قال السيد محمد مزالي : ان الارتباط بالماضى ليس يعنى (الماضوية) ان لنا اياما غرا يجب أن نذكرها وان نعتز بها واياما سوداء يتعين الاتعاظ بها . ان دراسة التاريخ تمكن من الظفر بالاصل ومن الابقاء على الخصائص .

وردا على سؤال حول واقع الادب التونسى وحظه فى مناهج التعليم ، بين الوزير ان طائفة كبيرة من المثقفين ومن رجال التعليم ايضا كانوا يجهلون كل شىء عن الادب التونسى ويرفضون النظر فى وثائق اثبات وجوده . لذلك وعملا على تغيير هذه العقلية الخطيرة الممسوخة قررنا منذ 1970 اعطاء الادب التونسى ما يستحقه من مكانة فى الكتب المدرسية وفى ذلك انصاف لادبائنا وتركيز لوجود أدبنا وتحفيز أيضا للناشئين من أجيال المستقبل على ممارسة الخلق الادبى . لقد اخترنا التعصب لانتاجنا وهو تعصب منهجى ومؤقت غايته اثبات وجودنا فى هذا المجال .

وفيما يتعلق بحرية الاديب قال السيد محمد مزالى : (أنا ملتزم دون الزام ، ولذلك فانى أومن بحرية الكتابة ، حتى نتجنب ما وقع فيه الادب السوفياتى من تجمد وتحجر تحت رقابة جدانوف . الا انه يجب التفريق بين الادب الجدير بهذه التسمية وبين التهريج الادبى ، وليس هناك مقاييس مضبوطة لتقييم الادب ولتمييز غثه من سمينه ولكن التاريخ أحسن غربال للانتاج الادبى والفنى .

ثم تحدث الوزير عن الصحافة وعما ينبغى للصحفى ان يتحلى به من صفات لا تكتسب الا بالجهاد والمعاناة منها الصدق ومنها الشعور بالكرامة ومنها الحس والحدس لتبين بواطن الاشياء وعدم الانخداع بالظواهر .

ان كل مقال صادق مدعم بالمعرفة والخبر الصحيح والقدرة على التحليل والتاليف انما هو مصباح ينير العقول ويفضح الزيف .

وأخيرا أوضح السيد محمد مزالى مفهوم الفلسفة والغاية من تدريسها فبين جدلية الشك واليقين مبينا ان الشك اذا اتخذ طريقة عمل فهو عملية نقد وتمحيص تفضى الى اليقين اما اذا كان الشك متسلطا فانه يؤدى الى الضياع وانتفاء العمل . الفلسفة اذن هى رياضة فكرية وتفاوض مستمر مع الواقع . ان أول درس تعلمنا اياه الفلسفة هو ان نحتاط من الفلسفة هو ان نتحرى دائما وان لا نتشبث بالنظريات ايا كان مصدرها .

● **الادب المغربي للدكتور عباس الجراري :**

أهدانا الدكتور عباس الجراري كتابه الجديد الصادر عن مكتبة المعارف بالرباط وعنوانه الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه والكتاب يتحدث في جزئه الاول عن وجود المغرب الحضاري والثقافي في العصر الجاهلي ونشأة الادب العربي في المغرب والتيار الذهني المرابطي ومدى تأثيره على الفكر والادب وقضية المعتمد بن عباد والمولد النبوي في الادب المغربي وبوادر التجديد عند شعراء المغرب العربي والشعر المغربي في مرحلة النهضة والمسرح عند العرب والمغاربة .

نهنيء الصديق عباس الجراري على كتابه الجديد ونشكره على هديته ، ونحن في انتظار الجزء الثاني من كتابه ان شاء الله .

● « **الفجر** » **مجلة المعهد الثانوي بالمنزه السادس :**

صدر العدد الثاني من مجلة هذا المعهد الفتي الذي يديره الصديق الاستاذ **محمد زبونة** . وقد جاء حافلا بانتاج التلامذة مبينا مدى ما **تبذله هيئة المجلة** وخاصة السادة الاساتذة المشرفين من جهود لدفع ناشئتنا **على التدرب في** ميدان الانتاج والخلق ، نشكر الاستاذ الصديق **محمد زبونة على هديته ونتمنى** لتلامذة المعهد التوفيق والنجاح .

● **عبد النبي بلخير داهية السياسة وفارس الجهاد :**

هذا الكتاب من تأليف الصديق الكاتب محمد المرزوقي الذي فاز في هذه السنة بجائزة الرئيس بوقيبة للآداب ويتعرض هذا الكتاب الى سيرة رجل قاوم الاستعمار الايطالي من 1911 الى 1930 بدهائه وسلاحه ثم تشرد في صحراء الجزائر حيث قضى نحبه عطشا ودفنته رمالها الى الابد وهو مجاهد لم يكتب عنه المؤرخون الا فقرات مقتضبة في كتب التراجم الليبية . نشكر الصديق على هديته ونتمنى له طول العمر والصحة لمواصلة انتاجه الغزير .

● **دراسات في مصطلح السياسة عند العرب :**

أهدانا الصديق الدكتور أحمد عبد السلام كتابه الجديد الصادر عن الشركة التونسية للتوزيع بعنوان دراسات في مصطلح السياسة عند العرب وهو بحث علمي تركز خاصة على تحليل مصطلح السياسة عند ابن خلدون وخير

الدين التونسى وابن أبى الضياف وما يتصل بهذا المصطلح من تفكير . (راجع فى هذا العدد ، باب مطالعات عرضا لهذا الكتاب) . نشكر الدكتور أحمد عبد السلام على كتابه الثمين ونتمنى أن نقرأ له قريبا بحوثا على هذا النسق من الدقة والمنهجية العلميتين .

● **الادب التونسى بين القديم والحديث :**

هو عنوان محاضرة ألقاها الاستاذ البشير بن سلامة رئيس تحرير مجلة « الفكر » أمام تلامذة المعهد الثانوى ببلدة « لجم » على منبر الشبيبة المدرسية وبتعاون مع اللجنة الثقافية الجهوية بالمهدية .

وقد كانت فرصة لبيان خصائص الادب التونسى فى القديم والحديث وإثارة المشاكل التى تعترض انتشار هذا الادب والتعريف بالادباء . وكانت أيضا مناسبة للاستماع الى مناقشات مكتوبة من قبل التلامذة الذين تناولوا عدة مواضيع منها أزمة النشر والضغوط المسلطة على الادباء والحائلة دون حرية التعبير وانحدار الادب التونسى الى أدب كليشهات خال من الصدق والمعاناة الحقيقية مغرق فى الميوعة . وانتقد الشبان مجلة « الفكر » وابدوا تشاؤمهم إزاء الادب فى تونس .

ولقد تبين للاستاذ البشير بن سلامة من خلال هذا الحوار ان هؤلاء الشبان يجهلون الادب التونسى ولا يتوقفون الا عند سلبياته ولم يلمسوا مدى ما يتمتع به الاديب التونسى من حرية فى ممارسة الخلق الادبى ويشهد بهذا ما تنشره مجلة « الفكر » من شعر جيد وقصص عميقة ودراسات جادة ثرية وما يتمتع به اتحاد الكتاب من استقلالية فى تسيير شؤونه .

وكانت فرصة لحض هؤلاء الشبان على إجلاء هذه الاوهام من عقولهم والتشبث بالواقع والتخلص من مركبات النقص إزاء المشرق والغرب والاقبال على الاطلاع على الادب التونسى قديمه وحديثه بكل جد ودقة .

● **الاجتماع السنوى لمؤسسة الجامعة الرحمانية بـ « بمونجير » الهند :**

عقدت الجامعة الرحمانية بمونجير ـ من المعاهد الدينية المعروفة فى الهند ـ اجتماعها السرى كالمعتاد فى 3 / 4 / نوفمبر 1978 م.

اشترك فيه جمع كبير من المسلمين من مختلف المدن والقرى والمناطق المجاورة للجامعة الى جانب عدد من العلماء والشخصيات الاسلامية البارزة وعلماء الجامعة العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية فى أماكن مختلفة . فعقد جلسات عديدة خلال يومين خطب فيها العلماء والمدعوون حول موضوعات دينية مختلفة . وحثوا المسلمين على العمل باحكام الشريعة وأداء فرائضهم الدينية .

ثم أقيمت فى 4 نوفمبر 79 بعد المغرب حفلة توزيع الشهادات على المتخرجين.

بدأت الحفلة بتلاوة القرآن الحكيم ، ثم تحدث امام الحفل فضيلة الاستاذ محمد حسيب الرحمن رئيس هيئة التدريس بالجامعة والاستاذ محمد نظام الدين الامين العام للامارة الشرعية والاستاذ محمد ولى الرحمانى مدير التعليم بالجامعة والامين العام لمنظمة المدارس الاسلامية .

أوضح الخطباء فى أحاديثهم أهمية العلوم الدينية والخدمات التى تقوم بها الجامعة للحفاظ على العلوم النبوية والثقافة الاسلامية .

وختاما ألقى أمير الشريعة الشيخ منة الله الرحمانى المحترم الامين العام لهيئة الاحوال الشخصية لعموم الهند كلمته وتحدث فيها عما تحمله المدارس الاسلامية من المهمة والاهمية وما تؤديه من الخدمات فى سبيل الحفاظ على الدين والدفاع عنه .

وفى اليوم الثانى انعقدت جلسة لمنظمة المدارس الاسلامية فى مسجد الجامعة وجرى البحث بين العلماء وأعضاء المنظمة حول شؤون المدارس واستعرضوا الاجراءات الهامة التى اتخذتها المنظمة لصالح المدارس الاسلامية.
ثم اتخذت قرارات عن إنعاش دور المدارس حركة ورفع مستوى الدراسة وتنشيط حركة الدعوة بين عامة المسلمين وتدعيم روابط الاخوة وانشاء الاواصر القوية والوحدة الفكرية فيما بينها .

● ملتقى الحوار بين الاسلام والمسيحية :

انعقد بنزل أميلكار بتونس الملتقى الثانى الاسلامى المسيحى وذلك من 30 أفريل الى 4 ماى 1979 .

وقد انتظم هذا اللقاء العالمي ببادرة من مركز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية التابع للجامعة التونسية ، تحت شعار : « الوحي والتنزيل ومستوياتهما » .

وقد افتتح الملتقى السيد وزير التربية القومية الاستاذ محمد مزالي واختتمه السيد وزير الثقافة الاستاذ محمد اليعلاوي .

وقد تخللته محاضرات ومناقشات هامة ؛ هذا وقد ساهم عدد هام من التونسيين فى اللقاء ببحوث ومن هؤلاء الاساتذة : عبد الوهاب بوحديبة ـ الحبيب الفقي ـ محجوب بن ميلاد ـ محسن العابد ـ التهامي نقرة ـ أحمد بكير محمود ـ كمال التارزي ؛ كما شهد الملتقى عدد هام من الضيوف : على سامي النشار ـ محمد عرقون ـ أرنلداز وغيرهم .

● الجزء الثاني من تاريخ إفريقيا الشمالية :

صدر منذ شهرين الجزء الثاني من كتاب « تاريخ إفريقيا الشمالية » للمؤرخ الفرنسي الكبير شارل أندري جوليان . وقد قام بترجمته الاستاذان محمد مزالي والبشير بن سلامة .

ويظهر أن النقاد فى بلادنا لم ينتبهوا الى أهمية هذا الكتاب الفريد فى بابه والذى يتعرض الى الفترة الحاسمة من تاريخ المغرب العربي ابتداء من الفتح الاسلامي الى سنة 1830 .

ويمكن أن نجزم ان المكتبة التاريخية العربية لا تملك كتابا مثل هذا الكتاب يحكي أحداث المغرب العربي بهذه الدقة والمنهجية العلميتين بهذه الموضوعية ، خاصة أن هناك دراسات لدول حكمت هذه البلاد قيمة جدا ولكننا لا نجد كتابا لتاريخ المغرب تصوره صاحبه بهذه الصور التأليفية الجامعة والشاملة .

واننا لنستغرب كيف أن نقادنا لم ينتبهوا الى قيمة هذا الكتاب والى الجهد الذى قام به المعربان ليكون النص واضحا بعربية لا تشتم منها الترجمة مع الرجوع الى النصوص التاريخية القديمة التى نهل منها المؤلف عن طريق الترجمة .

● أثر التيارات الاجتماعية فى القصة التونسية :

نشرت جريدة اخبار الخليج التى تصدر بالبحرين فى عددها الصادر فى 1979/4/30 لقاء مع الاستاذ رشيد الذوادى تحدث فيه عن الادب التونسي المعاصر

● **قصيدة (وطنى) :**

فى العدد 8 ماى 1979 من مجلة الفكر نشر القصيد الذى بعنوان « وطنـى » منسوبا خطأ الى ابراهيم عبد القادر والصحيح هو ابراهيم عبد الباقى نرجـو المعذرة من القراء ومن صاحب القصيد وشكرا .

● **تعـريب الادارة والمحيط :**

اشرف السيد محمـد مـزالى وزير التربية القومية فى 17 ماى 1979 بنزل تونس الدولى على مائدة مستديرة حول تعريب الادارة والمحيط نظمتها ودادية قدماء المرحلة العليا للمدرسة القومية للادارة .

وأوضح السيد محمـد مـزالى عند تدخله فى النقاش ان مسألة التعريب تعتبر مسألة جوهرية ترتبط بمصير البلاد ونشأة الجيل الصاعد .

ولاحظ ان اللغة العربية هى احدى مقومات الشخصيـة التـونسية فلغـة التونسى هى العربية ودينه الاسلام .

وأشار الوزير الى ان الاستعمار لم يحاول فقط الاستحـواذ على ثـروات البلاد وخيراتها بل سعى ايضا الى مسخ شخصية التونسى بمحاولة القضـاء على اللغة العربية وتشجيع اللهجات الدارجة وهو ما ينـزع عنـه الخصوصية الحضارية التى تميزه عن بقية الشعوب وابـرز فى هـذا الصـدد ان الحـركة الوطنية بنيت على أساس الدفاع عن الخصوصية القومية كما بين ان المجاهـد الاكبر قاوم حتى قبل ميلاد الحزب كل الاعمال التى تهدف الى مسخ الشخصية التونسية فتصدى بالخصوص الى حركة التجنيس .

وأوضح السيد محمـد مـزالى ان دراسة تاريخ أمة يبرز مدى حرص هذه الامة على لغتها وعلى شخصيتها وبذلك يكون منطلق التعريب منطلقا حضاريا ولاحظ ان الاستعمار الذى قاومه الشعب التونسى ترك جروحا عميقـة جعلت البعض لا يشعرون بانتمائهم الحميم الى أمتهـم التـونسية ويتجـلى ذلـك فى شعورهم بالنقص وعدم اعتزازهم باللغة العربية وبعد أن حلـل وزير التربية القومية الجهود التى بذلتها الحكومة من أجل تعريب التعليم وما قـامت به فى هذا المجال من خطوات تدريجية لتحقيق هذا الهدف الذى ناضـل من أجلـه الحزب أكد أن التعريب يعتبر مسألة وطنية فاللغـة حضـارة وتفكيـر تعطى

المواطن هويته وأوضح ان التعريب لا يعنى الرجوع الى الوراء والانفصال عن قافلة التطور واستدل على ذلك بالعديد من الامثلة المستوحاة من برامج التعليم وخاصة برامج الفلسفة التى تم تعريبها بالابقاء على محتواها التقدمى والعلمى والعصرى وعلى مدرسيها مع اضافة الحلقة التى كانت مفقودة وهى الفكر الاسلامى .

وأكد السيد محمد مزالى ان الحكومة تسير بخطى ثابتة فى مجال التعريب وان مستوى اللغة العربية سيتحسن كما سيتحسن مستوى اللغتين الفرنسية والانجليزية ملاحظا فى هذا الصدد ان التعريب لا يعنى القضاء على اللغات الاخرى بل تدريس المواد بالعربية وتعزيز لغتين أجنبيتين ضروريتين .

وذكر السيد محمد مزالى من ناحية اخرى بالمنشور الذى اصدره الوزير الاول بتاريخ 21 أوت 1971 والذى يدعو فيه المصالح العمومية الى تعريب الاجراءات تدريجيا تيسيرا على المواطنين قضاء حاجتهم واقرارا لعلاقات طبيعية مع العموم .

ودار بهذه المناسبة حوار شارك فيه عدد من قدماء المرحلة العليا للمدرسة القومية للادارة وأبدوا خلاله آراء تتعلق بالتعريب وضرورة تدعيمه وارسائه على قواعد ثابتة مبرزين أهمية العناية بالمحيط وبين السيد امحمد شاكر مدير المدرسة القومية للادارة انه تقرر منذ شهر اكتوبر تعريب خمس مواد من برنامج السنة الاولى المرحلة المتوسطة مثل العلوم الادارية والقانون والميزانية وتاريخ المؤسسات السياسية والحركة الوطنية .

● الحركة الاولمبية والتربية :

صدر عن دار الفكر كتيب يحتوى على دراسة طلائعية حول الحركة الاولمبية والتربية وهى من تحبير الاستاذ محمد مزالى مدير مجلة « الفكر » ونائب رئيس اللجنة الاولمبية والطريف فى هذا الكتيب هو ان هذه الدراسة التى حبرها رائد التعريب فى تونس جاءت فى أربع لغات : العربية والفرنسية والانقليزية والاسبانية وهو دليل آخر على أن الدعوة الى التعريب ليس معناه التقوقع والانكماش .

● الـدفـاع والاستقـلال :

لا يزل الصديق النوري البودالي دائبا على النشر وقد عمل في هذه الايـام الاخيرة على اصدار كتابه « الدفاع والاستقلال » المنشور بالفرنسية سابقا وهو كالعادة على نفقته . وكنا تمنينا أن يصدر باللغة العربية وها هي أمنيتنا تتحقق والكتاب مفيد . نهنىء الصديق عليه ونتمنى له الرواج .

● الـدغبـاجـي :

صدر عن مكتبة المنار بتونس الطبعة الثـانية مزيـدة ومنقحـة من كتـاب الدغباجي للاستاذ محمد المرزوقي .

● صدر عن الدار العربية للكتاب :

- الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب للدكتور محمـد التـومي الشيبـاني
- قصة الحيالة التسجيلية في نصف قرن تأليف محمد على الفرجاني
- النظر الفسيح عند مضايق الانظار في الجامع الصحيح للفقيد الشيـخ محمد الطاهر ابن عاشور
- اللهجات العربية والتراث في جزأين للدكتور أحمد علم الدين الجندي
- كتاب مائة ليلة وليلة دراسة وتحقيق محمود طرشونه
- مختار القاموس رتبه الطاهر أحمد الزاوي
- تجيئين كالماء وتذهبين كالريح تأليف أحمد ابراهيم الفقيه
- شعب وشاعر تأليف أبو القاسم الشابي للدكتورة نعمات أحمد فؤاد
- الشابي وجبران (الطبعة الرابعة) تأليف خليفة محمد التليسي
- حديث الاحاديث للدكتور على فهمي خسيم
- دراسات في الادب الحديث تأليف بشير الهاشمي
- بعد القرضابية تأليف خليفة محمد التليسي
- تطور النظريات والافكار التربوية للدكتور محمد التومي الشيباني

الفهـرست

العـدد 9 ـ جـوان 1979 السنـة الرابعـة والعشـرون

الفكر
مجلة ثقافية
مؤسسها ومديرها المسؤول
محمد مزالى
رئيس التحرير: البشير بن سلامة
تصدر بتونس شهريا
الادارة : 13 نهج دار الجلد ـ تونس
تلفون : 260.237
الحساب الجارى : 33769 ـ تونس
العنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحجب فى شهرى اوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوى :
  اشتراك عادى بتونس والبلاد العربية 5 دنانير
  اشتراك بالخارج 6.000 ستة دنانير
  اشتراك الانصار 10 دنانير
- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة او يصب فى حسابها الجارى : 337.69 ـ تونس
- الرسائل لا ترد نشرت ام لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم :
  مدير مجلة « الفكر »
  صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

EL-FIKR-revue mensuelle culturelle 24• Année N° 9 Juin 1979

طبع الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجى سليم تونس
تحت رقم 539 / 79 - الايداع القانوني 2 / 79